

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ
لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
قِسْمُ الدِّرَاجَاتِ الْعُلْيَا
الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ
سَنَةِ الثَّانِيَةِ



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٨٠٦



ابن مقرب العيوني

حَيَاتُهُ وَشَعْرُهُ

بِحِثِّ مُقَدِّمٍ مِنَ الطَّالِبِ
فَهْدِ بْنِ عَوْضِ بْنِ وَرِيدِهِ
لِنَيْلِ دَرَجَةِ الْمَاهِسْتِيرِ فِي الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ

سَنَ ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م

الإهداء
١٤/٤
لإستاذة الدكتور محمد الخرباصي
٠٠٢٧٩٢

مقدمة

لقد كثرت الدراسات الأدبية الحديثة حول الأدب العربي القديم ، ووجهت الجامعات والمعاهد العالمية طلابها وأبنائها للاهتمام بالتراث الأدبي ، ودراسته ، والكشف عن حياة أعلامه ورواده ، ومع كثرة هذه الدراسات والأبحاث ، وتشعبها فإن أدبنا القديم مازال في حاجة ماسة إلى المزيد منها ، لأن فيه جوانب مشرقة ومضيئة لم يتطرق إليها الباحثون المحدثون ، ويفحصونها بمجهر البحث الدقيق والدراسة العميقة الشاملة ، ولا نستطيع أن نلم بالصورة الصحيحة لتراثنا الأدبي إلا إذا تضافرت جهود العلماء والأدباء والدارسين في إحياء المخطوطات القديمة ونشرها للناس في صورة معققة واضحة مشرقة ، لأن الكثير منها مازال قيد المكتبات في الشرق والغرب يلفه النسيان ، وفي حاجة ضرورية إلى أيدي أمينة وعقول عاقلة مفكرة ليرى النور من بعد ظلام ، وليسعد بالحيلة من بعد موت .

وابن المقرب من رواد الأدب وأعلام الشعر في عصره ومع ذلك لا نظفر بدراسات عنه إلا القليل ، ولم يحظ بعناية الدارسين المحدثين إلا نادراً فسي حين أنه يعتبر من أنجب الشعراء الذين عاشوا في عصره ، بل لعنا لانجانب الصواب إذا قلنا : إنه من أعظم الشعراء الذين عاشوا معه وبعده حتى مطالع النهضة الأدبية الحديثة ، تقرأ شعره فتحس أنك تقرأ لزهير أو النابغة أو العتبي ، شاعر درس اللغة العربية وأحاط بفريها وألم بدقائقها ثم استخدم معرفته وخبرته اللغوية في سبك شعره وصوغه ، ولا تملك عند قراءته إلا أن تعجب بقوة ألفاظه وجزالة كلماته ، وورسا نغماتيه ، وتدفق معانيه ، وانسياب شاعريته ، وصلتني بالشاعر تهاداً حينما وقعت على ديوانه بتحقيق الأستاذ عبد الفتاح الحلو ، وأخذت في قراءته ، مدفوعاً ببراعة أسلوبه ، ومعجبا بروحه الشعرية العالية ، ثم شرعت أبحث في المكتبات عن دراسات حول هذا الشاعر فعثرت على دراسة عنه للأستاذ عمران محمد الصمران وهي الدراسة الوحيدة - فيما وصل إلي - التي كتبت عنه وعن شعره اللهم إلا بعض النتف الدراسية المبعثرة في بطون الصحف والمجلات كمجلة الهامة التي أصدرها الأستاذ العلامة حمد الجاسر في الرياض ومجلة الأدب البيروتية فضلاً عن وجود دراسة عن حياته مقتضبة في تاريخ الأحساء لابن عبد القادر ، ولمحة عنها في الأعلام لخير الدين الزركلي ، وعثرت على ديوانه المطبوع في المكتب الإسلامي بدمشق وهو غني بالتعليقات وخاصة فيما يتصل بحياة الشاعر فأخذت في قراءة هذه المراجع واستقصائها والموازنة بينها ثم قمت برحلة إلى بلاد

الشاعر " العيون " في الأحساء ، واتصلت بمن هناك من الأدباء فأمدوني بمعلوماتهم وآرائهم عن الشاعر . وبعد أن توافرت لدي صورة واضحة عن حياة الشاعر شرعنت في الكتابة معتمداً في الدرجة الأولى على ديوانه ، لأنه فيه خلاصة لحياته ومعالمها وامتيزت به من صراعات ورحلات وما قاساه فيها من حرمان فشعره صورة لنفسه ، وسجل لحياته ، ولقد اعترضتني بعض المشاق في رسم الصورة التي أريدها عن حياة الشاعر وشعره ، للغموض الذي يكتنفها أحيانا نظراً لقلة المراجع وندرتها تلك التي تبحث عن سيرته وشعره ، فما زال بعضها مخطوطاً لم ير النور ، ومن هنا أدركت السبب في عدم إقبال الدارسين المحدثين على دراسته .

وما دراستي هذه إلا محاولة أرجو أن يكتب لها النجاح ومازلت أعتقد أن الشاعر ما زال في حاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدرس والفحص ، وحياته الحافلة بالتطلعات والصراعات وشعره الفزير المنوع الأغراض فيهما مجال واسع للباحثين والدارسين . وبخاصة شعره وحاولت بقدر الإمكان وبما سمحت به الظروف أن أقدم تلك الدراسة المتواضعة عن حياة الشاعر وشعره ، ولو كنت أعتقد أن دراسة كهذه تحتاج إلى تفريغ وإلى مدة ليست قليلة من الزمن لتخرج فسي صورة أعمق وأشمل وأدق والله من وراء القصد .

فهد عوض وريـد



بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الاول

موطن الشاعر والحياة السياسية والاجتماعية والثقافية

يعتبر علي بن المقرب العيونى الأحسائى البحرينى أحد أعلام الشعر العربى فى القرن السابع الهجرى ، وحيث أن للحياة السياسية التى عاش فيها أكبر الأثر العميق فى شعر الشاعر لذلك كان لزاماً علينا ونحن نستعرض حياته من جلّ نواحيها ألا ان نحدد موطنه الذى نبت فيه الشاعر منذ نعومة أظفاره ، وثانياً الحياة السياسية التى أحاطت به وبت شاعريته . فالبحرين هى موطن الشاعر ولد وعاش فيها وهى مهد آبائه وأجداده العيونيين . قال عنها ياقوت الحموى فى معجم البلدان (البحرين) أسم جامع لبلا د واسعة على ساحل البحر ، الواقع بين جزيرة العرب وبلاد فارس تمتد من البصرة شمالاً الى عمان جنوباً ، ومن الدهناء غرباً الى البحر شرقاً . . . وهى فى الأقليم الثانى وطولها أربع وسبعون درجة ، وعرضها أربع وعشرون درجة ، وقال الأزهري (١) سميت البحرين لأن فى ناحية قراها بحيرة قدرها ثلاثة أميال ، وماؤها مرزعاق (٢) ، والبحيرة معروفة الآن بالأصفر فى آخر قرى الأحساء الشرقية مشهورة بهذا الأسم . وهناك من نسب ابن المقرب الى غير البحرين من شراح ديوانه ونساخه (٣) ، وكذلك بعض المؤرخين وأصحاب التراجم كالشيخ خير الدين الزركلى فى إحدى طبعات كتابه الأعلام (٤) حيث قال أنه شاعر من أهل بغداد ومن الباحثين من تبعه فى ذلك ولعلهم بذلك معتمدون على انه قد زار بغداد أكثر من مره ، ولذلك نسبوه اليها ولكن نظرة واحدة فى ديوان الشاعر كفيلة بأن تثبت أنه أحسائى المولد والنشأة والأصل .

لقد كانت (هجر) أو الأحساء عاصمة للبحرين آنذاك فاضمحل تدريجياً مع عامل الزمن أسم البحرين الذى كان يطلق على جميع المنطقة فبقى يطلق الآن على مجموعة جزر فى الخليج العربى أكبرها جزيرة (أوال) التى تمثل دولة البحرين فى الوقت الحاضر .

(١) ابو منصور محمد بن احمد بن ازهر (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) فى كتاب التهذيب .

(٢) الزعاق فى القاموس / : الذى لا يطاق شربه .

(٣) من ذلك ما جاء فى مقدمة الديوان المخطوطة بمكتبة بلدية الاسكندرية حيث قال :

هذا ديوان الامام ابن المقرب الحماسى اليمنى البغدادى رحمه الله تعالى .

(٤) فرائد الاعلام : نسبه الى الميرد (وضع البحر) وصوبه أهل الإحسا ،

وبلاد الشاعر - أعني البحرين - عريقة جدا في الحضارة حتى لقد قال أحد المؤرخين إنها مهد للحضارة الانسانية والجنس البشرى نفسه وهي أول بلاد رفعت في البحر شراعا وركبت أهواله ومخاطره فكانت حلقة اتصال تجارية بين الشرق والغرب .

وقال بعض المؤرخين أن الفنيقيين قد وجدوا أولا في هذه المنطقة قبل نزوحهم الى الساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ويعنى بذلك لبنان ، كما وأنه يوجد من الأدلة المادية الملموسة ما يدل على فينيقية الخليج العربي ، وأن الفنيقيين عرباً على أصح الروايات . ولقد كانت بلاد البحرين لموقعها الجغرافي المتوسط سوقا للتجارة بين الشرق والغرب ما حدا بحلوك بابل واليونان الى محاولة السيطرة عليها ، ومن هؤلاء الاسكندر المقدوني الذي جهز أسطولا ضخما للاستيلاء عليها ، ولكنه مات قبل أن يحقق مشروعه .

وخير ما يدل على مجدها الحضاري والتجاري أن التقى على أرضها الهندي والأفريقي والفارسي والبابلي والافريقي وغيرهم أجناس كثيرة .

لقد كانت السيادة في العصر الجاهلي في البحرين للعرب ، ومعظم سكان هذه المنطقة من عبد القيس وتميم ووائل ، ولا يضير ذلك أن بسطت الفرس نفوذها عليها كما كان يدعيه بعض المؤرخين الشعوبيين الا أن حكامها من العرب فكانت منتدى للشعراء والتجار في ذلك الوقت ، وقد أنجبت البحرين في العصر الجاهلي كثيرا من أقدان الفكر وعالمقة الشعر أمثال سعيد بن مالك ، والمرقش بن ، القتلبي وطرفة بن العبد وغيرهم .

وعند ما ظهرت الدعوة الاسلامية ، أرسل أهل البحرين وفدأ الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ليفاوضه ، فعاد الوفد متشعبا بروح الدعوة الاسلاميه فأسلم أكثر أهل المنطقة ، وقدم عليهم العلاء بن الحضرمي من المدينة داعيا ومعلما ومرشدا لهم . وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ارتد كثير منهم عن الاسلام فجهاز لهم ابو بكر رضي الله عنه جيشا وأرسله مع العلاء بن الحضرمي فلم يستطع ردهم وجاء المدد من خالد بن الوليد في اليمامة بعد أن اخضع بني حنيفة ، فاستطاع الجيشان ردهم الى الاسلام بعد ماتحصنوا بجزيرة (دارين) التي تعقبتهم جيوش المسلمين فيها فأخضعتهم ، وبقيت البحرين تحت لواء الخلافة الاسلامية

في عهد الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية إلا أنه حدثت ثورات فيها في عهد الدولة الأموية فاستطاعت إخمادها .

وفي العهد الإسلامي والاموي ظهر في البحرين كثير من كبار العلماء وفطاحلة الفكر منهم الشاعر الفحل قطري بن الفجاءة والصلتان العبدى وعيسى بن قاتس الخطى .

وقد دخلت تحت لواء الدولة العباسية بعد قيامها والقضاء على دولة بني أمية حتى عام ٢٤٩ هـ حيث استولى عليها (صاحب الزنج) الذي ادعى النبوة لنفسه ، ومالبث أن قتل بعد حروب دامية سنة ٢٧٠ هـ فعادت الى حوزة الدولة العباسية .

وفي خلال تلك الفترة ازدهرت الحياة العلمية والأدبية أيضاً بالبحرين فكثر الشعراء والعلماء فيها ، وبرز فيهم علماء في الفقه واللغة والفلسفة ، كما برز آخرون في الشعر ونقده منهم موفق الدين الأربلي ، ومن الشعراء معاذ الأزرق ، وأحمد بن منصور القطيفي وغيرهم .

ظهور القرامطة على مسرح التاريخ :

قتل صاحب الزنج (٢٧٠ هـ) وعادت البحرين الى حوزة الخلافة العباسية ومحمد بضع سنوات من مصرع صاحب الزنج تقريباً ظهر في البحرين رجل يقال لـه أبو سعيد الجنابي^(١) فقد اتصل ببعض القبائل وقويت شوكته وذكر شارح ديوان ابن المقرب ان ابا سعيد لما دخل هجر أرسل إلى جميع الرؤساء والاعيان والقراء للتشاور معهم : في اصلاح البلاد ، فلما اجتمعوا اضرم عليهم النار ، ومن فرائدته السيوف ، وشار بن المقرب الى هذه الحادثة بقوله :

وحرقوا عهد قيس في منازلها وغادروا العزم من ساداتها حمما

ثم سار أبو سعيد الى مدينة الزارة الشهيرة ، وكانت الرياسة فيها لبني أبي الحسن . فحاصرها حتى سلم أهلها . وأحرق الزارة ، وقد قتل سنة ٣٠١ هـ وكان قد عهد بالأمير

(١) تاريخ الاحساء المسمى تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد لمؤلفه محمد عبد الله عبد القادر الانصاري الاحسائي ، القسم الاول ط اولى ص ٨٥ .

الى أبنة الاكبر سعيد فعجز عنه وطلبه أخوه الا صغرا ابو طاهر / سليمان ابن ابى سعيد الجنابى ، وكان جريئاً
فاتكاثم تتالى حكام القرامطة على حكم البلاد واجتازوا فى غزواتهم حدود البحرين ، فاستولوا على اليمامة ،
ثم واصلوا الزحف الى مكة المكرمة فأمتهنوا - لعنهم الله - المشاعر والمقدسات الاسلاميه ، واقتلعوا
الحجر الاسود وحملوه معهم الى الاحساء (١) فظل هناك عندهم ، وقد بذل لهم الخليفة العباسى
المطيع لله خمسين ألفاً فلم يردوه الى أن يئسوا من تحويل الحج الى بلد هم (هجر) فردوه
الى محله من أنفسهم بعد اثنين وعشرين عاماً وأربعة ايام أتى به سنبر بن الحسن القرمطى الى
مكة يوم النحر سنة ٣٣٩ هـ فوضعه وقال اخذناه بأمر وردناه بأمر . (٢)

وقد ذكر عن حالة الاحساء ايام القرامطة - نقلاً عن رحلة ناصر خسرو الفارسى انه لا يوجد فيها مسجد
تقام فيه الصلاة حتى مربها رجل أعجمى يسمى احمد على يحمل الحجاج الى مكة ، وكان ثرياً فبنى
فيها مسجداً ، وقال ان من عوائد هم (٣) انذاك والتي تدل على مدى تفشى الخلاعة والمجون
ان هناك ليلة مشهورة فى السنة تسمى ليلة الماشوش ، وهى ليلة عيد لهم يجتمع فيها الرجال والنساء
فيغنون ويلعبون ويشربون الخمر ، فاذا انتشوا أخذ كل رجل امرأة ممن تليه من النساء ففضى حاجته
منها ، واستمرت هذه الحال فيهم وزالت بزوالهم ، وقد ذكرها بن مقرب فى قوله يمدح احد أمراء
المعنيين وقد ابطل ليلة الماشوش فقال :

منا الذى ابطل (الماشوش) وانقطعت آثاره وانمى فى الناس وانطمست

وظلت البحرين فى قبضة القرامطة حتى ضعف امرهم فى العقد السادس من القرن الخامس (٤)
فبدأت الاقاليم التى يسيطرون عليها تتحرر من قبضتهم الواحد تلو الواحد ، وكانت الدوافع
لذلك كثيرة او جزها المؤرخون فيما كان يعانى اهل البحرين من ظلم وتعسف ، وجور وفسق
وارهاق ، وامتهان للمشاعر الدينيه والمقدسات والمحارم . . وقد صور شاعرنا ابن المقرب
كل ذلك فى قصيدته الميمية التى يفخر فيها .

(١) جاء فى دائرة المعارف (باشراف الاستاذ فؤاد افرايم البستاني) ان القرامطة نقلوا الحجر
الاسود الى ربوة بجوار - سيهات - وهى بلد الان معروفه بجوار القطيف . ولم يقل

احد من المؤرخين بذلك . ولا نعرف من اين استقى البستاني قوله هذا ، وانما المتفق عليه ان
الحجر قد نقله القرامطة الى هجر (الاحساء) حيث اسسوا داراً سموها (دار الهجره)
ووضعوا الحجر الاسود فيها ، ودعوا بالحج الى هذه الدار .

(٢) انظر كتاب - سبط النجوم للعصامى المكي ٣ / ٣٦٠ المطبعة السلفية بالقاهرة
وانظر اخبار مكة للارزقي ١ / ٣٤٦ طبعة سنة ١٩٦٥ م مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة .

(٣) تحفة المستفيد ص ٩٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٩٨ .

بقومته :

سل القرامط من شطى جماجمهم
فلقا وغادرهم بعد العلا خدما ؟
من بعد ان جل في البحرين شأنهم
وارجفوا^٢ الشام^٣ بالفارات و^٤ الحرما^٥
ولم تزل خيلهم تغشى سنا بكها
ارض العراق وتغشى تارة " آدم^(١) " ص
وهرقوا عبد قيس في منازلها
وصيروا العز من ساداتها صمما
وابطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام^٥ ونصوا منهم " صفا " ص
وما بنو مسجدا لله تعرفه
بل كل ما دركوه قائما هدموا^(٢)

.....

- لقد ثار على حكم القرامطة ثلاثة من أشهر رجال البحرين وهم على التوالي :
- ١- الامير عبد الله بن علي العيوني في الاحساء وهو الجد الأعلى لشاعرنا علي بن المقرب
وهو ابتدأت امارة العيونيين التي سيطرت على المنطقة حينما من الدهر.
 - ٢- يحيى بن العياش في منطقة القطيف .
 - ٣- ابو البهلول محمد بن يوسف الزجاج في جزيرة (أوال) المعروفة بالبحرين
حاليا .

وكان التوفيق حليف هذه الثورات نظرا لضعف دولة القرامطة وأفسول
نجمها .

(١) آدم : قرية في عمان .
(٢) انظر ديوان الشاعر بتحقيق الحلو ص ٥٣١ .

كان عبد الله بن علي العيوني رجلا من بني قيس ، يسكن مشارف العيون فسي
الاحساء ، ولذلك سمي العيوني نسبة لها . قطع في أخذ الاحساء من القرامطية
وذلك سنة ٤٦٦ هـ فكتب الى جلال الدين ملك شاه السلجوقي في بغداد ، شارحاً له
أحوال البلاد وطلبها منه العون على الاستيلاء عليها واقامة الدعوة للدولة الجلالية
العباسية في الاحساء ، فبعث اليه القائد (اكسك سالاريك حبوان) ومعه سبعة
آلاف فارس فسار من البصرة الى الاحساء واتفق مع عبد الله ، فتم لعبد الله تخليص
الاحساء من براثن القرامطة بعد حروب طاحنة انتهت في سنة ٤٦٨ هـ .

وأما أبو البهلول فقد استطاع التغلب على جيش القرامطة الذي قواه من بسني
قيس فتغلب عليهم في جزيرة أوال واخضعها لحكمه بضع سنوات .

أما يحيى بن عياش فقد استطاع ان يستولي على القطيف وأن يطرد منها عمال
القرامطة ويخضعها لنفوذه ، وقد تطور أمره حتى طمع في انتزاع جزيرة أوال من أبي
البهلول ولكنه مات قبل أن يتم له ذلك فخلفه ابنه زكريا الذي نفذ خطة والسياسة
فأنتزع جزيرة أوال من أبي البهلول بعد قتله وضمها الى القطيف .

وأخيرا فكر بن العياش ان يوحد تحت تاجه امرة البحرين باكملها بما في ذلك
الاحساء التي كان يسيطر عليها عبد الله بن علي العيوني ، فالتقى جيشه مع جيش
عبد الله بن علي — أمير الاحساء — فانهزم أمامه في الموقعة الاولى وقتل في الموقعة الثانية
وبذلك خلا الجو للعيونيين ، قوم ابن المقرب فاستولوا على القطيف وجزيرة أوال . وهذا
تم توحيد البحرين تحت علم الامارة العيونية ، وهذا ماتهما دراسة جيدا نظرسا
لعلاقة شاعرنا به ، وقد سجل ابن المقرب هذه المعجزة لجده عبد الله بن علي حسن
يمدحه ويفتخر به حيث يقول :

ولم ينج (ابن عياش) بمهجتـه يسم اذا مارآه الناظر ارتسماً^(١)
أتى منجراً فوافى جو (ناظرة) فعابن الموت منا دون مازعنا^(٢)

(١) انظر ديوان الشاعر تحقيق الجلو ص ٣٩ هـ

(٢) ناظره : مكان معروف الان وفيه حدثت الواقعة الاولى بين عبد الله وابن عياش

فراح يُطرد طرد الوحش ليس يرى حبل السلامة الا السوط والقدم
فانصاع نحو (أوال) بيتفي عصما ان لم يجد في نواحي (الخط) معتصما
فاقم البحر منا خلفه ملك مازال قد كان ، للاهوال مقتحما
فجاز ملك (أوال) بعد ما ترك (ال مكروت) بالسيف للخبراء ملتزما (١)
فصار ملك (ابن عياش) وملك (ابي ال بهلول) مملكنا عقدا لنا نظما
من ذا يقاس بعبد الله يوم وغى في بأسه او يبارى جوده كرما

.....

بداية الدولة العيونية:

بقضاء الامير عبد الله بن علي العيوني على حكم ابن عياش في القطيف ، وجزيرة
أوال استقر له الحكم في البحرين ، فأسس ملكا واسما قوى الدعائم متينة إلا انه لم
يشغل من بعض الثورات الداخلية من القبائل التي استطاع التغلب عليها واخمادها
بحزمه وقوة رأيه . وبذلك يعتبر الامير عبد الله بن علي العيوني أول مؤسس للدولة
العيونية التي حكمت البحرين قرابة قرنين من الزمان .

وقد توفي الامير عبد الله بعدما أرسى دعائم الدولة وقضى على جميع المعارضين
لها وترك ثلاثة أولاد اكبرهم سنا ابنه الفضل فعلى ، وضبار .

(٢) الفضل بن عبد الله العيوني :

كان الفضل بن عبد الله شجاعا ، كريما وبعيد الهمة ، كثير الأسفار والتنقلات ،
والتجول في البرارى يتمتعب المفسدين وقطاع الطرق والمعايشين بالامن ، فأمنت البلاد
في عهده ، وقد حصى رعيته من (ثاج) شمالا الى (بهرين) جنوبا . ويروى أنه كان

(١) المكروت : احد قادة جيش ابن عياش البارزين .

(٢) تاريخ الاحساء ، الطبعة الاولى (ص ١٠٢) . والفضل بن عبد الله : عبد الله هو الاب
الاعلى للدولة العيونية حيث يقال لهم العبادلة .

يتجول ذات مرة في الصحراء التي حماها ، فرأى اعرابيا يرعى فئمه في الحمى ، وقد سبق أن قال له اعرابي آخر أما علمت ان هذا حمى الفضل ؟ فقال :

واين امروء في "زاد برد" محله واغنام سودى بعيد مذهبه
(فزاد برد) موضع في جزيرة أوال وفيه قصور للفضل يقيم بها اذا كان هناك ، فما اتم
الاعرابي البيت الا وقد خرج عليه الفضل مع ثلة من خيله فبهت الاعرابي ، ولكنه عفى
عنه ، وهذه من غرائب الصدف ، ويشير الى ذلك شاعرنا ابن المقرب في احدى قصائده
الفخرية في الفضل حيث يقول :

وان يفتخر بالفضل (فضل بن عبدل) فيا بأبي أعراقه ومناسبه
همام حمى البحرين سبعا ومثلها سنين ، وسارت في الفيا في موكبه
ولم يرع من (تاج) الى (الرمل) مصرم على عهده الا استبيحت حلائبه (١)
زمان يقول (الحامري) لمن غدا يحذره عنده وذو الحمق غالبه (٢)
(واين امروء في "زاد برد" محله واغنام سودى بعيد مذهبه (٣)
فلم يستتم القول حتى اذابسه يسايره . . والدهر جم عجائبه
فقال له : الآن التقينا فارعدت فرائضه والجهل مر عواقبه (٤)

وقد روى ما يدل على كرمه أن تجاراً ركبوا البحر من جزيرة أوال الى القطيف فغرقت سفينتهم
وزهب ما معهم من المال ، فأمر الفضل بأن يكتب كل رجل فاغرق له ففعلوا ، فأعطى كل
رجل ما يقابل ما فقد من تجارته من المال ، وكان فيهم جوهرى فقد عقوداً من اللؤلؤ قيمتها
مائة ألف ، فأعطاه ذلك فرجع الى جزيرة أوال واشترى بها عقوداً وذهب الى البصرة ،
فأرسل له حاكمها وسام منه اللؤلؤ بثمان بسيط فقال له صاحب العقود : يا سيدى خذ
ما شئت واترك ما شئت : فهذا كله عطا ملك عربي ، قال من هو ؟ قال ملك البحرين ،

(١) (تاج) موقع في شمال البحرين (الرمل) مكان أيضاً جنوب البحرين .
(٢) الحامري : هو البدوي الذي يحذر صاحبه من الفضل .
(٣) البيت من كلام الاعرابي .
(٤) انظر القصيدة بديوان الشاعر ص ٥٧ .



الفضل بن عبد الله فاستعظم ذلك ودعا بكأس ماء وشربه وهو واقف احتراماً
وكعادة شاعرنا ابن المقرب وتسجيله مفاخر قومه فقد سجل تلك الواقعة بقوله :

منا الذي قام سلطان العراق له جلالة والمدى والبعد بينهما^(١)

أبو سنان محمد بن الفضل :

كان أبو سنان معروفًا ومشهورًا بالكرم، وكان أشهر أمراء الدولة العيونية
وأشدهم قوة ومنعة، أوجب به شاعرنا ابن المقرب فقال فيه :

منا الذي من نداه مات عامله غما وأصبح في الأموات مخترمًا^(٢)

ولذلك قصة وهي أن شاعرًا عراقيًا يقال له الشعلبي قدم عليه ومدحه ولديه أحد عماله
قد أتى بمقود من اللؤلؤ لتسلم إلى الأمير، فأمر الأمير أن تعطى هذا الشاعر
فما كان من وزيره إلا أن مات في الحال لأنه استعظم ذلك كله، فسجلها ابن
المقرب كمادته في تسجيل مفاخر قومه .

ولاية شكر بن علي بن عبد الله بن علي

يكنى أبا مقدم، وكان عالماً كريماً ورعاً وشاعراً مجيداً، وفارساً شجاعاً وضع
المكوس والضرائب عن رعيته، وحينما تولى الأحساء خرج عليه رجل يسمى حماد
النائلي أو الوائلي . وجمع كثيراً من البوادي وأقبل يريد الأحساء فحاصرها مدة
من الزمن إلا أن أبا مقدم استطاع أن يرد غزو الوائلي ويقتل منهم خلقاً كثيراً واليه
أشار ابن المقرب بقوله :

(١) تاريخ الأحساء ص ١٠٣ .

(٢) ديوان الشاعر ص ٥٤٠ .

(٣) ديوان الشاعر ص ٥٤١ .

منا الذي يوم حرب النائي جلا

يوم السبيع ويوم الخائس الغمما^(١)

وللسبيع - والخائس مكانين لواقعتين بينهما تغلب فيهما ابو مقدم وقد توفي رحمه الله
بعد منتصف القرن السادس .

ولاية محمد بن أحمد أبي الحسين بن أبي سنان :

أُسعت رقعة الدولة العيونية في عهده فامتدت الى نجد ، وبادية الشام ، وقد
بلغت من القوة درجة جعلت الخليفة العباسي الناصر لدين الله يعهد الى الدولة العيونية
بحماية الحجاج من بغداد الى مكة ، وقد خصص للأمير العيوني مكافأة على ذلك يدفعها
له كل عام وقام بهذه المهمة الأمير محمد خير قيام ، وقد أدب بادية الشام عند
معارضتها للحجاج كما غزا بني مالك على ماء الدجاني غربي الدهناء بنجد وفيه يقول :

بن المقرب اولها : صدأق المعالي مشرفي وذابل

(٢)
وسابغة زُفِّفَ واجرد صاهل

ومنها :

| | | |
|-----|--------------------------------|--------------------------------|
| (٣) | ألم يجلب الجرد العتاق شوازيبا | من الحظ تتلوها المطايا المراسل |
| | الى ان ناخت بالدجاني بعدما | براها السرى والابن فهي نواحل |
| | فصبحن حيا لم يصبح حلاله | قد يما ولا رامت لقاء الجمل فل |
| (٤) | فكم قرم قوم غادرته مجذلا | تقط شواه الخامعات العواسل |
| | وكم عاتق لم تترك الخدر ساعة | تقلب كفسها له وهي ثاكل |
| | تقول ود مع العين منها كأنه | جمان هوى من سلكه متوايل |
| (٥) | حنانيك يا ابن الاكرمين فلم تدع | لنا أملا تلوى عليه الأنايل |

(١) الديوان ص ٥٤٦ (٢) تاريخ الاحساء ص ١٠٦ (٣) الشارب الخشن والضاير اليابس
(٤) تقط : تقطع الشوى : مالح الجوف والبطن . الخامعات : الضباع .
(٥) ديوان الشاعر ص ٣٥

ولقد كان عهد محمد بن أبي الحسين أكثر استقراراً من غيره وذلك نتيجة لحزمه وعزمه وضربه على يد المفسدين ، إلا أنه قتل على يد أحد اصهاره وقد رشاه ابن المقرب بقوله :

ظننت حسودى حين غالت غوائله يريح الى البقيا وتطوى حباله (١)

— — —

فضل بن محمد بن أبي الحسين :

لقد استعاد فضل ملك أبيه من قتلته ، ولكن في عصره بدأ الضعف يدب الى الدولة : ويطمع فيها الأعداء من كل جانب فلمس على بن المقرب الضعف يدب في جسم الدولة ، فلانت قناتها ووهنت عزماتها وكان ابن المقرب كما عهدناه حماسي الطبع حاد المزاج تجمع مع البيت المالك أوامر الرحم . فجعل ينظم القصائد الحماسية ويندد بسياسة الهوى واللين حتى مقتته الاسرة المالكة وباعدته ، وفي بعض الظروف صادرت أمواله لتكسر من حدة وشوكة ، وإخلاصه لبني قومه هو الذي خلق الهوة بينه وبينهم لا مازكة بعض المؤرخين والناس بقولهم انه طمع في أخذ الحكم منهم ونراه في هذه القصيدة معاتباً على سياسة الهون والتراخي : (٢)

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| تجاف عن العتبي فما الذنب واحد | وهب لصروف الدهر ما انت واجد |
| اذا خانك الاذن الذي أنت حزبه | فلا عجا ان أسلمتك الابعيد |
| ولا تشك أحداث الليالي الى امرى | فذا الناس ما حاسد أو معاند |
| وعد عن الما الذي ليس ورد | بصاف فما تعمى عليك الموارد |
| فكم مهمل طامى النواحي وردت | على ظمأ فانصعت والريق جامد |
| فلا تحسبن كل المياہ شريفه | يبيل الصدى منها وتوکی المزاد |
| فكم مات في البحر المحيط أخو ظما | بغلته والماء جار وراكـد |

(١) الديوان ص ٣٢٦ .

(٢) تاريخ الاحساء ص ١٠٩ والديوان ص ١٤ .

وإن وطن ساونك أخلاق أهله
فما (هجر) أم غدتك لسبائبها
فيت حبال الوصل ممن تـوده
وقل لليالي كيفما شئت فاصنمي
ولا ترهب الخطب الجد يل لهوله
فدعه فما يقضي على التـصـ ما جـد
ولا الخط ان فارقتها لك والد
إذا لم يرد كل الذي أنت وارد
فان على الاقدار تأتي المكائد
فطعم المنايا كيفما ذقت واحد

وفيها يقول :

فقم نحصد الأعمار او نبلغ المنى
فليس بصعاد الى المجد عاجز
وفي السعي عذر للفنى لو تعذرت
بجد فللأعمار لا بد حاصـد
نوءوم تناديه العلى وهو قاعد
عليه المساعي او جفته المقاصـد

ومضى ابن المقرب في هذه القصيدة العصماء احيانا يحتب وأخرى ينصح الى آخرها .

علي بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين :

لما تولى عيسى بن ماجد زمام الحكم العيوني في البحرين أظهر العدل وأخذ على يد المجرمين فعاد الأمن الى البلاد وسار بها الاستقرار وقد مدحه ابن مقرب بقصيدة عصماء ، إلا أن جماعة من بني عبد القيس ثاروا عليه فخرج من البلاد ، وباع الثوار مقدم بن عريـر بن الحسين بن شكر بن علي ، وكان مقدّم قد نشأ نشأة بدوية فعجز عن ادارة الحكم مما دعا الطامعين الى التكالـب على الدولة ففقدت الدولة العيونية هيبتها وقـد شارك ابن المقرب في تأنيب رئيس الثوار بتوليته مقدّم وهي من عيون شعره .

وبعد ذلك عاد الثوار فولوا عليهم محمد بن ماجد اخا علي أمير البحرين وقد مدحه بن المقرب وأثنى عليه ، غير أن محمد بن مسعود العيوني قد قام بقتل محمد بن ماجد وتولى الحكم مكانه ، وهنا بدأت شمس الامارة العيونية تـوءن بالزوال ، فقد اعدت جموع بني عقيل برئاسة بني عصفور الحدة لانتزاع الأحساء من أيدي العيونيين فحاصروا الأحساء واجر قوا الزروع والنخيل فتلـمـر الأمير محمد بن مسعود النصـح من جلسائه الذين قد اتفق معهم بنو عصفور بالاشارة عليه بقبول الصلح نظير ما يطلبه منه الغزاة وهو تسليم القصور والمزارع والأموال الخاصة بالعيونيين فتم ذلك . . وقد سخطت الأسرة

الميونية على تصرفات هذا الأمير بأبعاده الأقارب، وأدائه الأبعد الأمل الذي كان سببا في انهيار الدولة الميونية.

وهكذا تقلص حكم الميونيين، بعد أن دام ما يقارب القرنين من الزمان، وما هي إلا سنوات قليلة سيطر بعدها بنو عصفور على شئون الحكم ثم استقلوا به وكان ذلك في العقد الرابع من القرن السابع أي بعد وفاة ابن المقرب بقليل وكان الفضل بن محمد بن مسعود هو آخر أمراءها.

كل هذه الأحداث التي مرت بنا سقناها مع نوع من الاختصار لغرض الجو الذي تنفس فيه شاعرنا ابن المقرب، والحياة التي عاشها، وكان جو صراع وحرب، مما كان له السبب الرئيسي في تكوين شخصية شاعرنا الذي نحن بصدده الحديث عنه، فلقد رأينا يشارك في كل حادثه مع قومه بالنصح والإرشاد والإطراء والمدح أحيانا وبالعتب أحيانا أخرى. وله في آخر حياته قصيدة يندب فيها حظ قومه ويندد بأبي القاسم الذي كان سببا في انهيار دولتهم لانصياعه لنصح الحاقدين والمفرضين ومن قوله فيها: (١)

يا ضيعة العمر يا خسران صفقتنا

يا شوءم حاضرننا الاشقى ويا ديننا

كنا نخاف انتقال الملك في مضمر

فمرحبا بك يا ملك اليعانيننا

فان تولت ملوك الروم ما بلفت معشار ما صنعت اخواننا فينا

كنا نضج من الحرمان عندهم ونطلب الجاه منهم والبساتينا

فاللوم نفرح ان يبقوا لموسرنا من ارث جديده سهما من ثمانينا

هذا ما يهمني بحثه من تاريخ البحرين لنصل بالشاعر الى العصر الذي عاش فيه، وما مضى ومن خلال دراستنا لتاريخ هذه المنطقة نرى ان الطابع العام لهذه الدولة - اعني الميونية - طابع بدوي في كل نواحيه. وقصيدة علي ابن المقرب التي قالها وهو في بغداد سنة ٦١٣ والتي مطلعها:

(٢)

قم فاشدد الحيس للترحال معتزما وارم الفجاج فان الخطب قد فقما

تمثل الشيء الكثير من البراهين الناطقة والاسس والمقومات التي قام عليها حكم الميونيين وهي تبلغ مائة وخمسين بيتا عدد فيها مفاخر قومه وأيامهم ومواقفهم المشرفة.

(١) تاريخ الاحساء ص ١١٨. وديوان الشاعر ص ٦١

(٢) انظر ديوان الشاعر ص ٥٢٦.

الباب الثاني

الفصل الأول :

حياته ونشأته

أ (من هو ابن المقرب ؟

اختلف الرواة والمؤرخون كما دلتهم في عد أسماء شاعرنا ابن المقرب والوصول به الى جده الأعلى للمشيرة العيونية ، بل اختلفوا أيضا في الاسماء نفسها تقديمًا وتأخيرًا وتحريفًا ، كما اختلفوا أيضًا في لقبه وكنيته .

وفيما يلي نسوق بعض التراجم التي وجدناها لابن المقرب عند جل المترجمين

الذين تناولوا ذكره فمنهم :

١- جاء اسم شاعرنا في مقدمة ديوانه ص ٣ وقد كتبها أحد علماء الاحساء الاجلاء^(١) وقد طبع هذا الديوان في الهند سنة ١٣١٠ هـ ، وهذا نصه :

" جمال الدين أبو عبد الله علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن أبي الحسين بن

غريز بن ضباب بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد

العيوني الاحسائي " .

٢- وابن (ماكولا) يقول عنه في (الاكمال) وقد اختصر سلسلة أبوته اختصارا يوقع في^(٢)

الشك . مانصه " ابو الحسن علي بن المقرب بن الحسن بن غريز بن ضبار (كذا)

بن عبد الله البحراني . . . " .

٣- وقال عنه صاحب كتاب " معجم البلدان " " ياقوت الحموي " في صفحة ٢٥٩^(٣) من الجزء

السادس من المعجم عند ذكر مادة الميون " وبالبحرين موضع يقال له الميون

ينسب اليه شاعر قدّم الموصل وأنايبها ، واسمه علي بن المقرب بن الحسن بن

(١) مقدمه ديوان ابن المقرب طبعة الهند سنة ١٣١٠ هـ ص ٣

(٢) حياة ابن المقرب وشجره لعمران الصمران ص ١٣

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٦ ص ٢٥٩ .

عزيز (كذا) بن ضبار (كذا) بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم العيوني البحراني ،
لقيته بالموصل سنة ١١٧٦ هـ . وقد مدح بها بدر الدين وغيره من الاعيان ونفق
فأرقده واكرموه .

٤- قال ابن نقطه - وهو مؤلف توفي سنة ٦٢٩ السنة التي توفي فيها ابن مقرب -
في كتابه ^(١) (المستدرك) الذي استدرك به على كتاب ابن ماكولا ، قال في مادة
"ضبار" . "... واما ضبار - بفتح الضاد المعجمة وتشديد الياء المعجمة بواحدة
وآخره راء - فهو أبو الحسن علي بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار - بن
عبدالله البحراني تقدم ذكره " . وكان قد قال عنه " البحراني ... وابو الحسن
علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن غرير البحراني ، شاعر مجيد ، مليح الشعر
قد علينا بفداد فانشدنا قصائد من شعره " الورقة ١٢٩ نسخة دار الكتب المصرية .

٥- وقال ابن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤ في كتابه (قلائد الجمان ^(٢) في شعراء
الزمان) المصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة :

(علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز (كذا) بن ضبار بن عبدالله
بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابو عبدالله الربيعي البحراني العيوني . كذا
أملى على نسبه من حفظه) .

وكان ابن الشعار قد التقى بابن المقرب في بفداد سنة ٦٢٤ هـ ووصف شعره بأنه
جزل اللفظ وصينه ، جيد القول متينه ، كما وصفه بالحدق وابداع المصاني .

١- ونلاحظ على ابن الشعار أنه اكثر استيفاءً لأبوة الشاعر حتى الجد الأعلى ، وايد
كلامه بأن الشاعر نفسه هو الذي أملى نسبه عليه .

٢- وقد اتفق مع كاتب المقدمة في اكثر الاسماء ولم يختلف معه الا في الجد الثالث
للشاعر فان الشعار قال (الحسن) وصاحب المقدم زاد كلمة (أبو) ويلتقي مع
كاتب المقدمة في سرد اسماء الشاعر ماعدا ذكره (علي بن عبدالله بن محمد بأنه
"علي بن محمد" .

٣- وقال ابن الشعار (عزيز) بعين فزاي فياي فزاي - قد اتفق في ذلك مع ياقوت ومخالفا

(١) جريدة اليامة السعودية علم ٣١٢ في ٧/٩/٨١ للشيخ العلامة حمد الجاسر .

(٢) جريدة اليامة عدد ٣١٢ في ٧/٩/٨١ للشيخ حمد الجاسر ، ومقدمه ديوان بن

المقرب للاستاذ عبدالفتاح محمد الحلو الطبعة الاولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ ص ٧٠ .

لابن نقطه ، وابن ماكولا وكاتب المقدمة ، ولعن وافقهم ممن نطقه برائين بدل الزائين .

٤ — اتفق في نطق (ضبار) بالضاد والباء المشددة والراء مع ياقوت وابن نقطه —

وجميعهم من المعاصرين لابن المقرب وقد اجتمعوا به وكذلك اتفقه مع ابن ماكولا .

٥ — اتفق مع ابن ماكولا وياقوت وابن نقطه في أحد قوليه بادخال أداة التعريف على

اسم أبي الشاعر ، الا أنه لم يشر الى لقب الشاعر وكنيته .

٦ — وقال الحافظ المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة) في

(١)

ذكر وفيات سنة ٦٢٩ هـ .

... ويقال أبو الحسن علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز

بن ضبار بن عبد الله بن حسن بن ابراهيم الربيعي العيوني البحراني الاحسائي

الشاعر بالبحرين . . .)

ويمكننا أخيراً بعد هذا السرد لأبوة الشاعر عند أكثر المؤرخين والمترجمين له

أن نخلص الى مايلي :-

أولاً اننا عرفنا مما تقدم أن ياقوت الحموى وابن نقطه وابن الشاعر هو لا قد جمعهم

الشاعر عصر واحد وربما بلد واحد — وهو العراق — فهم معاصرون له ، وقد اتفقوا به

فعلاً وسمعوا شعره ، فيمكن لنا أن نأخذ بصين الاعتبار والترجيح قولهم ونجعله أساساً

لنا نعتمد عليه وخاصة ابن الشاعر الذي يمتاز على قرينيه بأنه شافه الشاعر نفسه وأخذ

نسبه منه املاءً وكتابة . مع أن ابن الشاعر لا يثقف مع زميليه في كل شيء ولكنه يختلف عنهم

شيئاً بسيطاً وهو نقص احد الاسماء وربما حدث ذلك سهواً ، او يختلف في النطق كعزيز

برائين بدل الرائين اللتين اتفقت عليهما البقية ، وقد يكون هذا خطأ في النقل أو النسخ

اما اختلافه معهم في أداة التعريف الداخلة على اسم أب الشاعر فقد تكون لملاحظة

الوصفية فقط . وأما ما يخص لقب الشاعر وكنيته فانه من الجائز جداً أن يحمل المرء

أكثر من لقب وكنية واحدة وليس لدينا ما يبرر أن نخلص فيه الى لقب واحد أو كنية واحدة ،

(٢)

وقصر الشاعر عليها .

وحسبنا مما سقناه من أقوال المترجمين لابن المقرب ان نخلص الى أن اسم شاعرنا

(١) التكملة للمنذرى (ج ٦ ص ٤٦٦ حواشي ٦٢٩) .

(٢) صاحب مقدمة ديوانه المطبوع في الهند سنة ١٣١٠ هـ بلقبه بجمال الدين ويكنيه بأبي عبد الله ، وابن ماكولا . . في الاكمال ، وابن نقطه في المستدرک ، والحافظ =

هو اذن :

علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن عزيز بن ضيار بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد الربيعي البهراني الميوني " فهذا هو الأقرب للصحة والواقع .

فابن المقرب علي أي حال عربي صميم ، أمير من أمراء الدولة الميونية وشاعر فحل من شعراء القرن السابع الهجري وهو ينتمي بنسبه الى بني ربيعة ، وهم فخذ من قبيلة عبد القيس المدنانية ذات الامجاد الرفيعة الشامخة في الجاهلية والاسلام ، وهو كثير الفخر والاعتزاز بأصوله فلا تخلو قصيدة من قصائده الا وفيها فخر بأمجاد قومه فاستمع اليه يقول :

أنا ابن النازلين بكل ثَفَرٍ كفيلا بالضراب وبالطمان
نماني من ربيعة كل قـمـر هجان جاء من قرم هجان (١)

(ب) عشيرته :

وقد اشتهرت عشيرته الاقربون (بال عبدل) نسبة الى جدهم عبد الله بن علي أو (آل ابراهيم) نسبة الى الجد الاعلى ابراهيم بن محمد ، ويقال لهم (الميونيون) نسبة الى بلدهم التي نشأ فيها وهي بلدة الميوني بالاحساء - موجودة الان .

ومن شعره مفتخرا بعشيرته قوله :

وأرغب بمدحك الا في سليل علا ينمي الى الغر من آبائك النجب
متوج (عبدلى) حين تنسبه لخير جد اذا يدعى وخير أب (٢)

وقوله يمدح احد ابناء عمه الامراء :

يابن الملوك الألى شاد واما لكهم بسلة البيض والخطية السلب
نماك من (آل ابراهيم) كل فتى مهذب طاهر الاخلاق منتخب

= المنذرى في كتابه (تكملة وفيات النقلة) ج ٦ ، وفيات ٦٢٩ هـ والمتوفي سنة ٦٥٦ هـ فيكفونه بأبي الحسن ، واما ابن القوطي البغدادي المتوفي سنة ٧٢٣ هـ فيلقبه بموفق الدين ويكنيه بأبي القاسم وبقية المؤرخين لم يذكروا الا اسمه فقط بدون لقب أو كنية .

(١) ديوان بن المقرب / للشيخ عبد العزيز العويضي / منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ص ٦٨ . الثغر : موضع المخافه . نماني : ولدني ، القرم : السيد ، الهجان : الكريم .

(٢) ديوان بن المقرب تحقيق عبد الفتاح العلوص ٧٨ .

كم في ابوتك الامجاد من ملك بالمجد ملتحف بالتاج معتصب^(١)
وقوله ايضا يمدح الامير ابا سنان احد ابنا عمه :

نماك من آل ابراهيم كل فتى منزه العرض من غش ومن دغل
قوم هم القوم في بأس وفي كرم وفي وفاء وفي حل ومرتحل
يمضون في الناس ما قالوا وغيرهم ان انكروا منه بعض القول لم يقل
في كل حي ترى الا اقلهم^(٢) بيتا ومفخر ذاك البيت في رجل

وقال ايضا يمدح الامير ابا سنان وهو ابن عمه :

سمايك بيت (عبدلى) اجله ديار الاعادى سمره وقواضيه
وعالى محل من (ربيعة) اشرفت علوا على كل البرايا مراتبه^(٣)

وقوله ايضا يمدح ابن عمه محمد بن احمد بن ابي الحسين :

أفر عيوني كأن جبينه صحيفة سيف اخلصته الصياقل
نماه الى العليا (فهل) و (عبدل) و (احمد) والقرم الهزبر الحلال^(٤)

(١) المرجع السابق ص ٨٢ من نفس القصيدة .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨٩

(٣) المرجع السابق ص ٥٥

(٤) المرجع السابق ص ٣٥١

ج) نشأته وأخلاقه :

شهد النصف الثاني من القرن السادس الهجري مولد شاعر عظيم من شعراء الأمة العربية ، ونبوغ علم من أعلام القريض فيها فقد ولد الأمير علي بن المقرب العميوني في بلدة العميون ^(١) من نواحي الأحساء في سنة ٥٧٢ هـ فشب وترعرع بين أحضان قومه أمراء البحرين وأخذ عن أدباء بلده ، وعلمائها اللغة والأدب والشعر في سن مبكرة ، وتغنى بلبس الشهامة والبطولة منذ نعومة أظفاره ، فنشأ عزيز النفس ، عالي الهمة شديد البأس صلب القناة طموحا إلى المجد وتوقا إلى المعالي ، فقد وهبه الله جنانا ثابتا ، وفؤادا يقظا ، وأصفاه الله نفسا نأت به عن مواطن الريب ، ودفعته به إلى طريق المجد والعزة والقوة . لقد بدأت شاعريته تظهر جليلة واضحة في سن مبكرة من عمره فقد قال الشعر وهو لم يبلغ السن العاشرة من عمره ، فكانت هذه بادرة جميلة تنبئ عن شخصية عالية يكمن وراءها رجله ليس بالهين البسيط ، مما دفع قومه إلى أن يحسدوه على هذا النبوغ المبكر خوفا منه على أمارتهم فدعاهم ذلك إلى وضع العقبات والصعاب في طريقه مما سنتكلم عنه في حينه إن شاء الله .

لقد قضى شاعرنا معظم حياته في البحرين وشعره حافل بأسماء الأماكن التي قضى فيها أيام طفولته وشبابه فهو يتغنى بها في كثير من مناسباته الشعرية ومن ذلك فكهه لأيام العذبة التي قضها في : الثليم ، والجرجاء ، والجديد ، والمصلى والحصنين وكلها أمكنة في منطقة البحرين ومن ذلك قوله :

رعى الله (الثليم) وساكنه
واجزاعاً تكنفها الشـلام
وجار من (الجديد) إلى (المصلى)
إلى (الحصنين) وكاف ركام
فمسح لذتي ومراح لهوى
هنالكم وجيرتي الكرام
ولمحب كل غانية كمباب
مخدمة يزين بها الخدام

-
- (١) ابن الشعار الموصلي في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) نقلا عن ابن المقرب نفسه ، وقد ورد هذا المرجع في مقالة العلامة الشيخ حمد الجاسر في صحيفة اليامة السعودية عدد ٣١٢ تاريخ ١٧ / ٩ / ٨١ هـ عن ابن المقرب .
(٢) التكلة للمندري ج ٤ حوادث سنة ٦٢٩ ، والوفائي بالوفيات للصفدي ج ٢٢ ورقم ٨٩ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ١٧٥ .
(٣) مقدمة ديوانه المطبوع في الهند سنة ١٣١٠ هـ .

يراه القابس العجلان لمعا
وترسل من لواحقها سهاما
مضى ذاك الزمان فليت أنسى
وقوله :

يامنزل الحي بالجرعاء لا برحت
كم لي مفنك من يوم نعمت به
تهنى بك المزن مثلا عزاليها
وليلة تعدل الدنيا وما فيها (١)

وله أيام أخرى في نجد قضى فيها بعضا من أيام شبابه العذبة حيث قال :

لله أيام الصبا إذ دارنا
إذ لمتي تحكى الغداف وانما
والخد من ماء الشباب كانما
كم ليلة طالت فقصر طولها
وترنم الأوتار في يد قينيه

ويبدو من هذه الأبيات أن أيامه في اليمامة أيام لهو وطرب وفناء وأنس .

-
- (١) الديوان تحقيق الاستاذ عبدالفتاح الحلوص ٥٦٣ هـ
(٢) الديوان تحقيق الاستاذ عبدالفتاح الحلوص ٦٥١ هـ
(٣) حجر : قصبة اليمامة ، وقوله حجر القرى تعظيما لها . وأجله : أرض باليمامة المعهد : المنزل الذي ينزلون به القوم ثم يرحلوا فيعودون له .
(٤) الله : الشعر المجاور لشحمة الأذن . الغداف : الشراب الاسود .
(٥) الكواعب : جمع كاعب وهي الجارية التي نهدت . والاحداق : العيون ، وحدقة العين سوادها .
(٦) الشدو : الفناء . المزاهر : العيdan التي يضرب بها واحد ها مزهر . الأعيد : الناعم .
(٧) الترتم : ترجيع الصوت . قينة : أمه . غنج : ذات الدلال ، يدين : يخضع . والغريفر : معبد : مخفيان مشهوران بجودة الفناء . الابيات في ديوان الشاعر شرح عبدالعزيز العويضي منشورات المكتبة الاسلاميه دمشق ص ١٨٢ .

(د) شخصيته : ربيعاً أنشأ شاعراً وأكتملت رجولته . تحركت في نفسه روح الطموح ودافع الغيرة إلى المجد ورغم أنه لم يكن صاحب قضية سياسية فقد أخذت الشكوك تحوم حوله من قبل بني عمه أمراء العيونيين الذين هم حكام البحرين ، فوجد الحساد والناقمون عليه وعلى الدولة فرصتهم الوحيدة فسمعوا به لدى أبناء عمه حتى اضطهدوه وصادروا أمواله وممتلكاته ، وشدوا عليه خناق الحياة ، وكل ذلك خوفاً منه ومن نبوغه الذي لاحظوه عليه ، فلم يجد ابن المقرب سبيلاً إلا مفادرتة وطنه ، والرحيل بعيداً عن بني عمه وعشيرته . فسافر إلى العراق ودخل بغداد والموصل وواسط وديار بني بكر ، فأخذ يتصل بالولاة والامراء هنا وهناك وأنشد فيهم المدايح فأكرموا وفادته وأحلوه مكاناً طيباً من مجالسهم ، ولكن دفع به الحنين بعد حين إلى وطنه ومسقط رأسه ، فعاد وأنشد القصائد في بني عمه أمراء العيونيين ، آملاً في استجابتهم وتركهم سماع كلام الحساد والنواشين ، فلم يترك منهم ذلك ساكناً ولم يصبخوا إلى مدائحهم ولم يغيروا أي انتباه .

لقد كان شجاعاً في رأيه مخلصاً في نصحه لهم متحلياً بطول الصبر معانابه من مصائب الزمان . . فانظر إلى قوله :

مُنِيَتْ مِنَ الزَّمانِ بِمَنْقَطٍ قَـبِيرٍ قَلِيلٌ عِنْدَهَا حَزُّ الشُّفَّارِ (١)
فَرَأَى أَهْبَةً ، وَذَهَابَ مَـبَالٍ وَضِيْمٌ أَقَارِبٍ ، وَأَذَاةَ جَارِ
فَلَا وَاللَّهِ لَا وَجِدَ كَوْجِدِي وَلَا عَرَفَ اصْطِبَارِ كَاصْطِبَارِي

وابن المقرب لم يهون من عزيمته ما مني به من سلب قومه لممتلكاته وأمواله ، فمع قلة يده وتمكن الفاقة منه أحياناً لم يفتر له عزم ولم تلن له قناة وهو القائل عن نفسه :

إِنْ تَرَى شَخْصِي لَأَمْرٍ سَاكِنَا فَلَعَمْرِي أَنْ قَلْبِي فِي طَرَادِ
رَبِّ ذِي هَمٍّ تَرَاهُ مَطْرَقَا وَهُوَ فِي اطْرَاقِهِ حَيْهَ وَأَدِ (٢)

ولقد كان كثير الحديث عن نفسه ، معجبا بها وينسبها وامجاده كما كان لسان قومه الناطق بمجدهم المعبر عن أمجادهم فقد كان لهم مدافعاً ما وسعه ذلك بالرغم من أن قومه قد ناصبوه العداة فتعدوا مشاعره ، وضايقوه في عيشه ، ولكنه رغم ذلك يمد لهم يد القربى ويبخل بمودتهم عن قطع الرحم . . فكان يفتخر بهم ويحسبهم عدته في مواجهة الحياة

(١) المنفقيز : الداهلية ، وشفرت السيف حده . الديوان تحقيق الحلوصه ٢١ .

(٢) ديوان الشاعر ص ١٨٠ .

والنار . . ولذا نجده حفيا بأنبائهم في غربته حيث يقول :

| | |
|--------------------------------------|-----------------------------|
| (١) تراعى بي الأمواج والحزن والسهب | وإن أنفرادى عنهم وتغربى |
| وأنهم للعين والائف والقلب | بغير اختيار كان مني ولا قلب |
| وتدني ولا يعد يدوم ولا قرب | ولكنها الأيام تبعد تباعدة |
| (٢) بهم حيث يمشى السفر أو ينزل للركب | واني حفي عنهم ومساءل |
| (٣) مع الألم المضاض قد يقطع لأرب | وكم قائل لي عد عنهم فأنه |
| إذا لم يكن فيه لحامله طيب | فقلت رويدا قد صدقت وذلكم |
| (٤) فلا قصب يبقى لعمري ولا قصبا | إذا لم أداو العضو إلا بقطعة |
| (٥) على بعد داري والقناني بهم حدب | واني بقومي للضعفين واني |
| (٦) على الدهر اضحى وهو من هيفه كلب | ولي فيهم سيفه إذا ما أفضيته |
| وقل وهذا لا يفلى ولا ينسب | على أن حد السيف قدر بمانسب |

هكذا كان الأمير ابن المقرب شديد الاعتزاز بقومه شحيحاً بهم رغم تردى علاقته بهم ، ورغم اضطهادهم له وسجنهم أيام ومصادرة أملاكه وأمواله نزولاً على رغبة حساده ومناوئيه ، وهذا والله أنه لندوة الشيم العربية التي سجلها تاريخ العرب لهذا الأمير الفذ .

كما وأنه عرف عنه الاحسان الى المحتاجين والفقراء وعرف عنه التقوى والعفاف والتمسك بأهداب الدين والشرعية رغم ما حدث منه في أيام صباه من لهو تقدم لنا في أبيات— وهو بالبيعة .

-
- (١) السهب : ما اتسع من الأرض
 (٢) الحفى : المستقصى في السوال . والسفر : المسافرون .
 (٣) عد عنهم : اتركهم . المضاض : الموجع . الأرب : العضو .
 (٤) القصب من الأعضاء : كل عضو أجوف ، والقصب الثانية : الأمعاء .
 (٥) الحدب : العطوف .
 (٦) كلب : له معنيان ، اقربها ان الكلب اذل السباع اذا خاف .
 (٧) ديوان الشاعر شرح عبد العزيز الموصي ص ٢٥ .

(هـ) **علمه وثقافته** : أما عن حظه من المعرفة في ذلك العصر الذي يخيم عليه الركود الثقافي والشعري خاصة في ذلك القطر العربي - البحرين - فإن سعة الأفق الثقافي لدي شاعرنا تكاد تكون أبرز ظاهرة يلمسها الدارس لشعره المتمعن في ديوانه ، وليس من شك فإن ابن المقرب لم يعتبر نفسه شاعرا إلا بعد دراسة مستفيضة لشعر الاقدمين من فحول الشعراء من جاهليين واسلاميين وشعراء العصر العباسي وغيرهم أمثال أبي الطيب المتنبي وغيره من ترسم خطاهم واقتفى آثارهم فقد اطلع على ما خلفه أولو العقول المجربة والأفكار النيرة كما وأنه اطلع على كثير من أساليبهم وأخيلتهم ، وتم له الاطلاع أيضا على أخبار العرب وأيامهم ودرس أنسابهم وبعبارة أخرى فإن ابن المقرب لم يقل الشعر إلا بعد أن اكتملت ثقافته وتمت موهبته ، وبعد أن أصبح مهيبا لعرش أفكاره . فشعره الذي يحتويه ديوانه عموما لا تختلف قصائده ومقطوعاته بعضها عن بعضها اختلافاً يوجب الانتباه ويلفت النظر ، بل كانت قصائده لها شبه كبير ببعضها من حيث الأساليب والمعاني والصيافة الفنية ، فمستواه الشعري فيها يتقارب جداً وهذا بالطبع راجع الى أحد سببين هما :
أما انهم يتجه الى الشعر اتجاهاً كاملاً إلا بعد أن نال حظاً وفيراً من الثقافة العامة وأما انه لم يكن راضياً عن شعر صباه فلم يضمنه ديوانه . وبعد ذلك بقي ان نعترف أبرز ألوان المعرفة وامتياز معالمها لدى شاعرنا ، فالقارى لديوانه يجد أن أول ظاهره ثقافية يلمحها الباحث في شعره هو تمكنه القوى من قواعد اللغة العربية ، وتضلعه فيها بشتى فروعها وعلو مهارة وفنونها وكيفية فخرا في ذلك شهادة امام العربية في زمنه الشيخ العلامة محب الدين ابوالبقاء عبد الله بن الحسين العسكري البغدادي الحنبلي ، وقد اشار الشاعر الى ذلك في احدى قصائده حين قال :

| | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| لقد تقدمت سبقاً من تقدم مني | سنا وادرك شأوى فارط الأول (١) |
| بذلك قدوة أهل العلم قاطبة | ابوالبقاء محب الدين يشهد لي (٢) |
| هو الامام الذي كل له تباع | من كل حاف على الدنيا ومنتمل |
| فما الخليل له ندى يقاس به | وهل يقاس بين البحر والوشل (٣) |

وما دنا نعترف ان ابوالبقاء علم من اعلام العربية فانه لا ينظر الى شعر الشاعر الا من زاوية خاصة ، وهي اقراره للشاعر بتمكنه من قواعد اللغة العربية وهذه تعتبر شهادة عظيمة لشاعرنا .

- (١) ديوان الشاعر شرح عبد العزيز احمد العويص ص ٤٢ . وتحقيق الحلوم ٣٨٤
(٢) القدوة : الاسوه . وابوالبقاء : لقب ابي عبد الله بن الحسين العسكري لواء وامام أهل العربية من اهل بغداد وغيرها ، وكان قد حكاه على جميع من تقدمه من الشعراء : وكوتب على ذلك بحضرة جماعة من اهل العلم .
(٣) الخليل : صاحب كتاب العين وهو الخليل بن احمد . والندى : الضد ، والوشل : الماء القليل .

ولقد قال ابن الشعار الموصلي ايضا بأن أئمة العراق من ذوى العلم والأدب قد أقروا لابن المقرب بالحدق في الشعر والأدب. وهذا نص مقالته .
" . . . وكان شاعرا مجودا منتجعا ، كثير المدح قليل الهجاء جيد القول متين ، قوى اللفظ رصينه ، وهو أحد الشعراء المعروفين ، أقر له بالحدق أئمة العراق من ذوى العلم والأدب ^(١)
أما عن الميزة الثانية التي تستفيد منها ديوان الشاعر فهي اطلاع علي حوادث التاريخ ، وإيام الماهيين . ولقد كان حظ شاعرنا من هذا العلم سحيا غدا ، فقد درس إيام العرب ، وتاريخ الاسلام دراسة وافية شاملة ، واحاط باطراف وصور شتى من ماضي الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده ، وألم بكثير من اخبار الشعوب المجاورة للعرب من فرس وروم ، وله اطلاع تام في معرفة كثير من مواقف رجالا من العرب ، وأقدانهم ، وما اشتهروا به من مآثر جمة ومفاخر عطرة .

وكانت له معرفة خاصة بتاريخ الجزء الشرقي من بلاد العرب - أي البحرين وماجاورها - وقد تكلمنا عن ذلك باقتضاب في الفصل الاول من هذه الرسالة - والدول التي تعاقبت الحكم فيه ، أما عن تاريخ الدولة الصيونية وهي اسرته فلم تخف عليه فيه اية خافية دقيقة أم جلييلة مما جعله يردد ذلك في نغمات شعرية تغني بها روحه وينبض بها وجدانه مرددا لها في كل مناسبة شعرية .

كما وان تنقلاته ورحلاته داخل البحرين وخارجها - الى اليمامة ، والعراق وديار بكر - قد أفادته علما الى علمه وثقافة الى ثقافته ، فقد عرف كثير أعين عادات الآخرين وأساليب حياتهم وسبل معاشهم . وكان له ايضا من هذه التنقلات استفادة بمعرفة البلدان ومن رحلاته الى الوسط وبغداد والموصل فقد اجتمع بعدد من الفقهاء والعلماء والأدباء ، وقد كانت هذه البلاد حواضر العلم في ذلك العصر ، فناقش الأدباء والعلماء في بعض المسائل وناظرهم فيها فقال القسط الاوفى من المعرفة في الدين واللغة والأدب . فابن المقرب أخذ من مفهوم الثقافة عند العرب اطرافا شتى فكان العالم الفاهم قبل أن يكون الأديب الشاعر . ويجدر بنا ونحن ندرس حياة هذا الامير الشاعر أن نخرج بالحديث على معتقده ~~التي~~ حيث أن لذلك صلة تامة بشعره ، فمنطقة البحرين وجد فيها بعض الديانات الأخرى غير السنية وهي مهد للديانة الشيعية وهم أولئك الفئة التي تدعى بالولاة لآل البيت رضوان الله عليهم وتشجيع لعلهم كرم الله وجهه .

(١) جريدة اليمامة السعود يقدر ٣١٢ وتاريخ ١٠ / ٩ / ١٤٨٥ من مقالتي ونصوص تاريخية أوردها الشيخ العلامة حمد الجاسر عن ابن المقرب وقد أرجعها الشيخ حمد الى كتاب قلائد الجمان في شعراء الزمان لابن الشعار الموصلي .

(و) معتقده : وابن المقرب سني المذهب والمعتقد ، ونظرة واحدة في ديوان الشاعر كقيلة بأن تزيل الشك وتثبت أنه من أهل السنة كما كانت أسرة الميونييين تدين في معتقدها وفي أحكامها وفق حدود الشريعة الإسلامية وعلى مذهب أهل السنة والجماعة كما كانت لهم مواقف خالدة في أحياء ما اندرس من معالم السنة . إلا أن رحلات شاعرنا إلى العراق كانت مثار اختلاف بين بعض الباحثين في معتقده حتى رأينا بعض الشيعة يقولون عنه أنه شيعي المعتقد ^(١) وقد عضدوا دليلهم هذا بدليل آخر من شعره وهو مدحه (لآل البيت) وهذه حجة واهية لا يعتد بها في الواقع .

ويمكن للرد على هذين الاستدلاليين أن نقول :

ان قصد شاعرنا من رحلاته للعراق أنه أولا البلد القريب من وطنه وثانيا أنه يوجد به من الخلفاء والامراء والولاة من يلتجئ إلى حماهم ويلوذ بكنفهم اصف إلى ذلك أن بغداد لا تزال العاصمة الرمزية للخلافة الإسلامية ، وان بني العباس لا يزالون يتعاقبون الخلافة فيها ، ثم أيضا ان التاريخ لم يثبت لنا اطلاقا انه عرج على الأماكن المقدسة عند الشيعة ، وليس في شعره ما ينم عن ذلك ، ولو فعل ذلك لظهر في شعره قطعيا ، اما عن مدحه لآل البيت رضوان الله عليهم فلم يكن ذلك وفقا على الشيعة دون أهل السنة فأهل السنة أيضا يجلون أهل البيت ويرعون لهم حقوقهم . وصلته أيضا بعلماء السنة وخاصة الحنابلة والشافعية ، ومدحه لبعضهم ، وثنائهم عليه ، ومدحه لشعر الديين باتكين وهو مهي سنن مالك وأبي حنيفة والشافعي . . كل هذه الأمور مجتمعة تنفي الشك في معتقد ابن المقرب وتزيله وتؤكد ماسقناه من سنية مذهبه . وقد استدل من قائل بشيعة بن المقرب بقصيدة وجدت في نسخة خطية واحدة من ديوانه ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية كتبت سنة ١٢٨٦ هـ وهي تزخر بشتيات من ضرور التضييع . ومطلع القصيدة :

| | |
|--------------------------|------------------------|
| يا باكياء لدمنة وأربع | أبك على آل النبي أودع |
| يكفيك ما عانيت من مصابهم | من أن تبكي طلالا بلعلع |

والمتمن الفاحص في هذه القصيدة لا يجد بصحة نسبتها للشاعر من وجوه هي :

١- ان روح ابن المقرب الشعرية والفكرية وطابعه السلوبي أمور تنعدم تماما في هذه

(١) قال بذلك احد رجال الشيعة وهو السيد محسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) .

القصيد ، وهذا ~~اعتقد~~ كافيه للقول بأنها ليست من شعره .

٢- ان القصيدة قد انفردت بها هذه النسخة الخطية الواحدة دون سائر نسخ الديوان المخطوطة الاخرى .

٣- اشار الناظم في اغرها باسم ابن المقرب ، وهذا امر يزيد الشك فيها حيث قال : ~~الحكم~~

المحكم نفثة مصدور أتت من مقحم الشعر الى مصقوع
مقربى عربى طبعه ونجره ، وليس بالمصدور

٤- ليس في شعر ابن المقرب على سعته اى صورة من صور التشيع وهذا من شأنه ايضا زيادة الشك في نسبتها له ، ان لو فرض ان القصيدة من شعره حقيقة (رأينا في قصائده الاخرى شيئا من سمات هذا اللون الذى اتصفت به القصيدة . والقصيدة هذه قد الحقها بديوانه محققه الاستاذ / عبد الفتاح محمد الحلودون الثبت من صحتها وهي تبلغ ٧٦ بيتا وقد اثبتتها في ص ٢٥٩ وترتيبها (٤١) . رغم انها لا توجد الا في نسخة واحدة من مخطوطات ديوان الشاعر .

(ز) وفاته :

لقد عاش شاعرنا الامير علي بن المقرب العيوني ما يقارب سبعا وخمسين سنة أمضى كثيرها في صراع مرير مع دهره ، وزمانه ، وهو صراع عاد على الشعر العربي بثروة فكرية وبيانية جمّة ، فقد وقف حياته متغنيا بأمجاد قومه ودولته العيونية مادحا لابنائهم أحيانا وناصحا لهم حيناً آخر ، فمضى عمره متقلبا بين بلاد وطنه البحرين وبين العراق واليمن ، وقد انتهى به المطاف ورمته اقدار الحياة في نهاية الأمر بقرية ثائمه من سواحل عمان في طريق الذهاب الى الهند يقال لها طسيوى ، ولما نزلها سماها طيبي فقد توفي بها وذلك سنة ٦٢٩ هـ على ارجح الاقوال . (١) وقيل سنة ٦٣٠ هـ ، وقيل سنة ٦٣١ هـ .

(١) قال بذلك الحافظ المندرج المتوفى سنة ٦٥٦ هـ في كتابه (التكملة لوفيات النقلة ج ٤) ذكره في وفيات ٦٢٩ هـ وقال بذلك صاحب كتاب الاعلام خير الدين الزركلي ج ٥ الطبعة الثانية ص ١٧ ولدن ابن الشاعر الموصل في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) قال ان ابن المقرب توفي في آخر مخرم سنة ٦٣٠ هـ . وقال ابن القسوطي البغدادي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ في كتابه (تلخيص مجمع الاداب) ان ابن المقرب توفي في البحرين في المحرم سنة ٦٣١ هـ . وقال الصفدي المتوفى ٧٩٤ هـ في (الوافي) ان ابن المقرب توفي في سنة ٦٣١ هـ . وهذه المصادق قد ذكرها العلامة الشيخ محمد الجاسر في جريدة اليمامة للسعود يقعد ٣١٢ تاريخ ٧/٩/٨١ هـ من مقالته عن ابن المقرب .

الفصل الثاني

رحلاته واتصالاته

نبخ ابن المقرب في اقليم البحرين فأوتى من الذكاء والفطنة وتوقد القريحة، وسحة النظر وبعده مالمهوء غيره من افراد الاسرة العيونية، فكان ذلك سببا رئيسيا لفت اليه انظار اسرته ، وحدا بهم اخيرا الى الخوف منه واضطهاده وسلب امواله وممتلكاته ثم ايداعه في السجن مدة من الزمن وذلك نزولا من ابنا عمه على رغبة حساده ومناوئيه الذين وجدوا الفرصة مواتية لهم ، ولعل هذه الاسباب مجتمعة هي التي حدث بشاعرنا الى أن تكون حياته سلسلة من الرحلات داخل اقليم البحرين وخارجه . . والا فانه يميز عليه فراق اهله ومفارقة دياره ووطنه . . وهو القائل في ذلك ؟

| | |
|--|---|
| ولا ثمة وأحزتها مسيرى | وقد شَرَقْتُ بِأَدْمَعِهَا الْغُزَارِ |
| تقول وقد رأت عَيْسِي وَرَحْلِي | وَصَدَّى عَنْ هَوَاهَا وَزَوَارِي |
| عَلَى مَجْشَمٍ لَا هَوَالَ فَرْدَا | بِفِرِّ الْبَيْدِ أَوْ لَجَّ الْبَحَارِ؟ (١) |
| أَمَّا لَا مَا تَحَاوَلْ أَمْ عَلَيَّوَا | هُدَيْتْ أَمْ أَجْتَوَا؟ لِلدِّيَارِ؟ (٢) |
| اتقنع بالعلاة هن العلالى | بَدِيلَا وَالْمَثَارِ مِنَ الْوَثَارِ؟ (٣) |
| فقلت لها غشاشا والمطايىا | إِلَى التَّجْلِيحِ حَاضِرَةُ الْحَضَارِ؟ (٤) |
| ذريني لا أياك كيف يرضى | بِدَارِ الْهَوْنِ ذِ وَالْحَسْبِ النَّصَارِ |
| فظل السد عند الذل أولسى | بَأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ ظِلِّ السَّدَارِ؟ (٥) |

والقائل :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| لا تحسبوا بغضي للاوطان من ملل | لا بد للود والبغضا من سبب |
| قل ، وذل ، وخذلان ، وضيم عدى | مقام مثلي على هذا من العجب (٦) |
| اذ الديار تغشاك الهوان بها | فخلها لضعيف العزم واقترب |

(١) تجشمت الامر : تكلفته على شقه . . (٢) اجتوى المكان : كرهه واستوباه .

(٣) العلاة : هي المرتفع من الارض ، والحصاة يوضع عليها الا قتل تجفيفه ، المثار : اخذ ود يحفر الرجل مقدار طوله وينام فيه ، وتسميه العرب القرموص ، الوثار : الفراش اللين .

(٤) غشاشا : على عجلة . التجليح : الاقدام والعزم .

(٥) السدار : الخدر ، والقيدة في ديوان الشا عرش عبد العزيز الحويكي ص ٢٥ .

(٦) ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٧٦ .

والقائل ايضا :

فان تك قومي الغر ماهت حلوهها
وأدنت ذوى الاغراض فيها وياعدت
واعطت زمام الامر كل مدْفَع
وهل قلاها من لها كان آملاً
فلى سعة عن دارها حيث لا أرى
فلست ابن أم المجدان لم اقم بها
سأركبها أما العز وراحلة
بها واطاعت في الصديق الاعاديا
لا مردى ارحامها والمواليها
من العثر لا ترضى به (الزنج) واليا^(١)
ورجى اذاها من لها كان راجيا
بنات الكداد يحتقرن المذاكيها^(٢)
مقاوم تبدى للردايا مكانيها
أفدّهما او يختلبنني حماميا^(٣)

والقائل ايضا :

سأرحل رحلة تذر المطاياها
فاما ان أعيش مصاد عِز
واما ان أموت وما عليها
فموت الحر خير من حياة
ومشارفها الخديّة كالإهوان^(٤)
لمجني عليه أولجاني^(٥)
سوى من خافني او من رجاني
يقاسي عندها ذل الهوان^(٦)

والقائل ايضا :

١- اقيما على حر المدى وترحلا
٢- ولوتسألاني اين ترمى ركائبى
٣- فقد سئمت نفسى المقام وشاقتنى
٤- وكيف مقامي بين اوباش قريّة
فلست براخي منزل الهون منزلا^(٧)
فما لكما ان تسلماني وتسألا
ركوب الفيا في مجهلا ثم مجهلا
أرى الرأس فيها من بها كالسفلا

والقائل :

ما اقبح الذل بالحر الكريم وما
مالي اجمع في صدرى بلابله
أسوأ واقبح منه العز بالكم
ومنكب الارض ذو منأى ومتسع^(٨)

- (١) زمام الامر : مقاده ، والمفع : الذليل الحقير .
(٢) الكداد : فحل تنسب اليه الحر ، والمذاكي . . الجياد من الخيل .
(٣) ديوان الشاعر تحقيق عبد الفتاح الحلوص ٦٥٩ :
(٤) الشارف : السنة من النوق ، الخديه : الضخمة ، الإهوان : المرجون .
(٥) المصاد : اعالي الجبل . (٦) والقصيد في ديوان تحقيق الحلوص ٦٢٦ .
(٧) المدى : جمع مدى وهي السكين . الهون : الذلة والضعف . الديوان تحقيق الحلوص ٣٦٤
(٨) الجمجمة : اغفا ، الشي في الصدر . والبلبال : البرحاء في الصدر . والمنكب :
ناحية كل شي . ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٢٧٧

وكل قوم اذا صاحبتهم شيعي
(١) وهمة تجاوزت بي كل مرتفع

وكل أرض اذا يمتتها وطني
ولي من الفضل أسناه واشرفه

ومنها :

ويلحق السيد المتبوع بالتبوع
بحسم داء المداء فيهم فلم أطع
(٢) عنهم لهم أسليه ومتدع
(٣) والريع خير ومن للهي بالرسع

لا هير في منزل تشقى الكرامه
كم لمت قومي لا بل كم أمرتهم
فلم أجد بعد يأس غير مرتحلي
فان يرعوا أراع والعقل مكتسب

فمجرد قرائتنا لهذه الامثلة يمكن أن نستشف أولاً الدوافع الحقيقية لتنقلات ابن المقرب داخل اقليم البحرين وخارجه كما ندرك منها ايضاً مدى حبه وتعلقه بوطنه ومدى صعوبة مفارته على روحه وقلبه ، اضافة الى بذل نفسه وتفانيه في سبيل الحرية والعزة والكرامة وارتفاعه عن مواطن الذل والخنوع .

اتصاله بامراء الميونييين :

لقد سافر الى اليمامة وكانت هذه الرحلة الاولى له حيث غادر بلاد البحرين وذلك في أيام صباه ، وقد مر بنا ذلك في نشأته حيث قال في تلك الرحلة :
لله أيام الصبا ان دارنا
حجر القرى ولنا باجله معهد
ألا أن هذه الرحلة لم تصطبغ بصبغة رحلاته الاخيرة الى بلاد الرافدين - العراق - فقد قضى بعضها من أيام شبابه ولهوه في اليمامة .

ولما شب ، واكتملت رجولته وتحركت في نفسه روح الطموح الى المجد ، أخذت الشكوك تحوم حوله من قبل بني عمه ، واذكت الايام حدة هذه الشكوك فازدادت الخلافات العائلية بينه وبينهم^(٤) تعقيداً ، فتصلبوا في موقفهم تجاهه واضطهدوه ، وصادروا أمواله وممتلكاته ثم أودعوه غياهب السجن مقيداً بالأسلاك وقد ظل في السجن حيناً . . ثم خرج فلم يجد مندوحة من مفارته وطنه الحبيب الى نفسه

(١) أسناه : اعلاه . (٢) متدع : مكان الدعة والراحة .

(٣) الريع : الرجوع ، أراع : رجع . السرع : فساد في الاجفان .

والقصيدة موجودة في ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٢٧٨ .

(٤) كان الحكم آنذاك لآل علي بن عبد الله الميوني .

والرحيل بعيدا عن بني عمه وعشيرته فاتجه الى المراق فوصل بفداد واقام بها مدة بسيطة، قضاها ولم يدنس سمعته بسوءال ، ولم يمتدح اثناءها أحداً .

وبعد مدة عاد الى هجر حاضرة البحرين وذلك سنة ٦٠ هـ يحدوه الأمل الوطيد في أن الخلافات والاحقاد قد استلتها الأيام من الصدور وخلفها الوثام والمود فأضف الى ذلك ان الحكم قد انتقل من ال علي — الى آل فضل بن عبد الله الميوني — وهم بنو عمه ايضا — وكان على مودة ووافق معهم .

وبعد أن وصل الى الحساء توجه الى اميرها محمد بن ماجد آل فضل فأنشده قصيدته الياثية التي مطلعها :

خذوا عن يمين المنحنى ايها الركب لنسأل ذاك الحي مافعل السرب^(١) ؟
وهي تبلغ اثنين وثمانين بيتا بدأها باللوعة والحنين ثم انتقل الى النسيب والفخر بقومه الصيونيين وأخيرا انتقل بحسن وبراعة الى مدح الامير واستعطافه بأن ترد له أملاكه السلية ، كما ناشده الله بشعر يذيب الصخر من أن يريق ماء وجهه فسي استجداً الناس فيقال :

فصن حر وجهي عن سوءال فانه علقى ولو عاش بن زائدة صعب
وردّ كثيراً من يسير تقى بـه فراخا قد استولى على ريعها الجذب^(٢)
فوعده الأمير محمد خيراً . . . الا أنه لم يف بوعده أخيراً بل لقد رجع عنه وذلك بتأثير حساده ومناوئيه فقد اوهموا الامير بأن مطلب بن المقرب بعيد الغور ، وماطلب الا القليل من الكثير ، فنصحوا الامير بعدم المطف عليه ، وابماده فانصاع لرأيهم وفشورتهم . . . وخاف ابن مقرب على نفسه وقد قال فيه ايضا قصيدة من عيون شعره يستحثه فيها بعد ما طال وعده ، ففادر ناحية القطيف ، وفيها امتدح اميرها فضل بن محمد الميوني^(٣) واقام هناك مدة الا أنه لم يظفر بأربه بل لقي الصدود والجفاء فعاد مرة أخرى الى الحساء ، ولكنه ترفع عن الاتصال ثانية بالأمير محمد بن ماجد .

(١) الديوان تحقيق الحلوص ٢٦ .

(٢) = = = ٢٥ .

(٣) فقد مدح الامير فضل بقصيدته التي أولها

ابث لك العزة القمصاء والكرم ان تقبل الضيم او ترضى بما يصم
وهيـــــــــــــــــي (٤٣) بيتاً في ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٥٢٠ .

وفي هذا الاثناء قتل محمد بن مسعود الميوني ابن عمه محمد بن ماجد واعتلى اريكة الملك فمدحه ايضا ابن المقرب بقوله :

صعود العلألا عليك حرام وعيش سوى ما انت فيه حرام (١)

والقصيدة تبلغ اثنين وثمانين بيتا .

كما امتدح ايضا ابنه الفضل بقصيدتين من عيون شعره .

غير أن الفضل اساء الحكم في آخر ايامه فأخذ اmlاك عشيرته واقطعها للاباعد والخرباء فلامه ابن المقرب على ذلك وعاتبه عتابا حارا ولاذعا .

ومعد ذلك ضاقت بشا عرنا الارض مارحبت وخاصة بعدما رأى معاول الدمار تعمل على هدم صرح الدولة الميونية ففادر الى العراق - للمرة الثانية - .

وماكاد يستقر هناك حتى وصلتته اخبار أخرى تحمل اليه ان الامير علي بن ماجد أخا محمد قد ثار على قتلة اخيه . وانه انتزع السلطة في الاحساء منهم . ثم عاد ابن المقرب مسرعا الى بلده ، وامتدح اميرها بقصيدة مطلعها :

صَدَّتْ فَجَذَّتْ هَبْلٌ وَصَلَكَ زَيْنَبُ

تَمِيمُهَا ، وَأَعْجَبَهَا الشَّبَابُ الْمُعْجَبُ (٢)

وهي تبلغ ٨٧ بيتا .

وبالمثل ان هوى عرش هذا الامير ، وتولى بعده الامر مقدم بن عزيز الميوني وكان فتى خليعا ، سي * الطبع ، دني * الخلق فشد شاعرنا ابن المقرب رحله كمادته للمرة الثالثة - قاصدا العراق ميسا الملك الاشرف العادل * صاحب الجزيرة الفراتية فوصل الموصل سنة ٦١٨ هـ الا انه لم يوفق بلقا * الاشرف حيث انه سمع عنه انه توجه لملاقات الحملة الصليبية والاشترك في صدها عن الديار الاسلامية . لقد كان الاشرف حريصا على اتصال ابن المقرب به فقد كان من المعجبين به المولعين بشعره ، ولكن ابت الايام الا أن تحول بين لقائهما ، فقد واصل الاشرف مسيره حتى وصل دمياط وهناك اترك ضد الهجمات الصليبية على مصر فانتصر الملك الاشرف وسرعان

(١) الديوان تحقيق الحلوص ٤٧٣ . (٢) الديوان تحقيق الحلوص ٩٤

(*) الملك الاشرف هو موسى بن محمد العادل بن ابي بكر محمد بن ايوب من ملوك الدولة الايوبية بمصر والشام ، جرت له مع ملك الروم ، ومع ابن عمه الملك الفضل وقائع ، وكان شجاعا حازما كريما ، موافقا في حربه وسياسته توفي سنة ٦٣٥ هـ .

ما وصلت الاخبار شاعرنا ابن المقرب وهو في الموصل فأشاد بهذه البطولة وسجل
للاشرف هذا الذر العظيم في قصيدة من عيون شعره الذي شارك فيه في هذه
الانتصارات بدأها بقوله :

أبر شهودي أنني لك عاشق
سهادي وسقي والدموع الدافق (١)

ومنها :

| | |
|------------------------------------|---------------------------------|
| سل الكفر من أودي بدمياط ركنه | وقصر أعلى فرعه وهو باسق (١) |
| يخبرك صدقا أن موسى هو الذي | بصاره باقت عليه البوائق (٣) |
| وقد جاءت الافرنج من كل وجهة | كأن تداعبها السيول الدافق |
| كتائب ملء البر والبحر من يدت | له قال : ذاجنح من الليل غاسق |
| تسيرسد من حديد لو أنسه | هو السد لم يخرقه للوعد خارق (٤) |
| له لجب كادت مرارا لهولسه | تقطع بين المسلمين العلائق |
| فما كان الا أن احسوا قدومه | تحف به تلك البنود الخوفق (٥) |
| يهز حساما لم يكن من دمائها | له صابح منهم بري وغابق |
| ومالوا لقتل المال في اليم في الضحى | وبالليل ثارت في الرجال الحوائق |
| وازعجهم من ذاق للجرح بعدهم | بأس وهل يستعذب الموت ذائق ؟ |
| فمكولوا فمكب على أم رأسه | لذن ذاك لم ينفق وآخر نافق (٦) |
| ومستعصم بالبحر منه وعائذ | بأخلق تنبو عن صفاه المطارق |
| ولم يبق يثنى من عنان جواده | أب لابنه والموت للقوم خانق |
| فسأل دم لوسال في الارض لا ستوى | بهاردغ ماعمرت ومزالق (٧) |
| جرى منه فوق البحر بحر فوجه | الى الآن من بعد الأفاهي شقائق |

وتعتبر هذه القصيدة بحق من عيون شعر شاعرنا ابن المقرب الذي شارك

به في الادب الصليبي وهي تبلغ اثنين وتسعين بيتا .

- (١) ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٢٩٢ (٢) ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٣٠٠ باسق : عال مرتفع .
(٣) باقت عليه البوائق : اصابته الشرور والدواهي .
(٤) السد : سد ياجوج ومأجوج الذين بناه ذ القرنين عليه السلام . (٥) البنود : الاعلام .
(٦) لم ينفق : لم يموت .
(٧) الردغ : الماء والطين والوحل الشديد .

اتصاله بأعيان زمانه :

وفي أثناء وجوده بالموصل اتصل بأمرها بدر الدين لوؤ لوؤ ومدحه بقصيدة
لامية بدأها بقوله :

حَطُّوا الرِّحالَ فَقَدْ أَوْدَى بِهَا الرُّحُلُ مَا كَلَّفَتْ سَيْرَهَا خَيْلٌ وَلَا أُهْلٌ
بَلِّغْتُمُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى فَحَسْبُكُمْ هَذَا الَّذِي بَعْلَاهُ يَضْرِبُ الْمَثْلُ (١)

وهي قصيدة طويلة تعتبر بحق من عيون الشعر العربي ، وأبياتها تقارب
السبعين بيتا ، وكان لها أثر عميق في نفس الممدوح وقد سمعها منه الرحالة العربي
الشهير ياقوت الحموي الذي التقى به في الموصل فأشار إليها في معجمه ، إلا أنها
لم تقع منه موقعا حسنا حيث قال : وليست بالطائل عندي (٢)

وعند ما غادر ابن المقرب الموصل ودع أميرها بقصيدته التي قال في مطلعها :
إِنْزِلْ لِنُتْمِ ذَا الصَّعِيدِ مَقْبُولا شرفا واجلا لا لمولى ذَا المِلا (٣)
وأكرم الأمير ابن المقرب واحسن وفاده ، واجزل نبي عطائه ، إلا أنه من المؤسف أنه
ورد في ديوان الشاعر بيتان قد هجا بهما ابن المقرب بدر الدين وعلق عليهما
طابع الديوان بأن الأمير هو الذي طلب منه ذلك على ما اعتقد مداعبا له (٤)

وفي إحدى سفراته إلى بغداد التقى شاعرنا بالنقيب تاج الدين اسماعيل بن
النقيب جعفر العلوي الحسيني ، وحضر مجالسه فخلع عليه فامتدحه بقصيدته التي
مطلعها : -

تُخْفِي الصَّبَابَةَ وَالْإِلْحَاطَ تَبْدِيهِمَا وَتُظْهِرُ الزُّهْدَ بَيْنَ النَّاسِ تَمْوِيهِمَا
وَتَسْتُرُ الْحُبَّ كَيْمَالًا يُقَالُ صَبِيحًا شَيْخًا فَتُعْلِنُهُ الْأَنْفَاسُ تَنْوِيهِمَا (٥)

(١) ديوان الشاعر تحقيق العلوي ص ٤٣٩

(٢) معجم البلدان لياقوت مادة العيون ج ٦ ص ٢٥٩ . ونحن مع تقديرنا العميق لياقوت
واحترامنا لمباحثه الجغرافية ، لا يمكن أن نوافق في حكمه على شعر ابن المقرب وبالاخص
هذه القصيدة التي تعتبر من عيون شعره . فشعره بصفة عامة جيد ويقارب أن لم يضاهاه فحول الشعراء
كأبي الطيب وأبي فراس الحمداني وسيأتي الكلام على شعره .

(٣) ديوان الشاعر ص ٤٢٢ (٤) يقول فيها
تَسْلُطْنَ بِالْحِدْبَاءِ عَبْدٌ بِلُؤٍّ مِنْهُ بَصِيرٌ بَلَى عَنْ نَيْلِ مَكْرَمَةٍ عَمِ
إِذَا أُيْقِظَتْهُ لَفْظَةً عَرَبِيَّةً إِلَى الْمَجْدِ قَالَتْ أَرْضُنِيَّتُهُ نَمِ
الديوان ص ٥٠ (٥) ديوان الشاعر ص ٦٤٩

ولعل من أبرز ما اتصل بهم في بغداد الخليفة العباسي الناصر لدين الله
أحمد بن المستضيء^(١) وذلك في سنة ٦١٣ هـ فقال فيه قصيدته الميمية التي استهلها

بقوله :

أَمَارَاتُ سِرِّ الْحَبِّ مَا لَا يُكْتَمُ وَأَبْيَنُ شَيْءٍ مَا يُجِنُّ الْمُتَمِيمُ^(٢)

وقصيدته الحائية التي مطلعها :

أَرْتَهَا الْمَاقِي مَا تَكُنُّ الْجَوَانِحُ فَبِحْ ، فَالْمَعْنَى بِالصَّبَابَةِ بَائِحُ^(٣)

الا ولى تبلغ ما يقارب خمسة وستين بيتا ، والثانية تبلغ تسعة وستين بيتا .
وقد اتصل في بغداد بأحد رجال الناصر وامتدحه واشثنى عليه وهو فخر الدين
أبو عبد الله المحسن بن هبة الله الدوامي وذلك سنة ٦١٤ هـ فقال فيه :

بَلَاهُ إِلَّا مَامَ الْبَرِّ حِينَا وَغَيْرُهُ فَلَمْ يَرَأْ زَكِيٍّ مِنْهُ نَفْسًا وَاشْرَهَا
وَوَلَاهُ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَسْرَعْ تَقِيًّا ، وَلَا رَاعِي لَدُنْيَاهُ سُرْفًا
وَلَا خَانَ بَيْتَ الْمَالِ جَهْرًا وَلَا خَفَا وَلَا زَاغَ عَنْ نَهْجِ الْإِمَامِ وَلَا هَفَا^(٤)

وقد التقى أيضا ببغداد في سنة ٦٢٣ هـ بعلم من أعلام الأدب والتدوين ، وهو
ابن الشعار الموصلي صاحب (قلائد الجمان في شعراء الزمان) وأنشده كثيرا من
أشعاره حفلا ، وقد ذكره ابن الشعار بأنه قوى الحفظ والذاكرة ولا يجد سائمة
ولا ضجرا في اسماع شعره للآخرين ، كما وصفه فقال " . . . هو أحد الشعراء
الموصوفين المشاهير في عصرنا المعروفين أقر له بالحدق أئمة العراق من ذوى الأدب
والعلم"^(٥) .

وقد مر في إحدى رحلاته أيضا ببلدة - واسط - واتصل بمعاملها الأدبية

(١) ولد الناصر عام ٥٣٥ هـ وبيع بالخلافة ٥٧٥ هـ بعد وفاة والده وتوفي عام ٦٢٢ هـ وعلى هذا فهو
أطول خلفاء بني العباس مدة في الحكم ، وكان معروفا بالدهاء والسياسة والتقلب .

(٢) الديوان ص ٤٤٨ .

(٣) الديوان ص ١٢٠ .

(٤) ديوان الشاعر ص ٢٨٧ وتبلغ ٩٦ بيتا .

(٥) انظر مجلة اليمامة السعودية عدد ٣١٢ وتاريخ ٧/٦/٨١ من مقالة للشيخ حمد
الجاسر في ابن المقرب .

عميد الدين أحمد بن جعفر المعروف بابن الديلمي فمدحه في أول الامر، ولكنه هجاه
آخره .

وزار البصرة واتصل بأميرها المشهور شمس الدين بانكين (١) فمدحه بقصائد
من شعره وأولها قوله :

طَما بَحْرُ الهموم به فَمَـاـدا
وعَوْضه من الغُضِّ السَّهادِ (٢)

وهي ثمانون بيتا ، وقال أيضا يمدحون :

كره الله ما أحب الأعداء
وأبى ما أراد أهل العناد (٣)

وهي تبلغ ما يقارب خمسين بيتا .

ولما أراد مفارقة البصرة ودعه بقصيدة قال فيها :

| | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| أما الفراق فتأتينا رواحلـه | غدا ، ويحد جن للترحال بعد غد |
| والله يعلم اني لا أُسرَّ بهـه | لكن اخاف شقاء الـاهل والولـد |
| وهل يكون شقاء في الزمان لهم | كفيتني عنهم مع ضيق ذات يدى |
| الآ ووجهك اشهى من وجوههم | عندى ، وانهم الأفلان من كبدى (٤) |

(١) هو بانكين بن عبد الله الرومي الناصري ، ويكنى بابي شجاع ، وبأبي المنصور .
وكان عالما شاعرا وقد توفي في بغداد سنة ٦٤٤ هـ .

(٢) الديوان ص ١٨٢ .

(٣) الديوان ص ١٩١ .

(٤) الديوان ص ١٥٨ .

اتصاله بعلماء عصره :

هذا ولا يفوتنا ان تشير في هذا الفصل الى اتصالات شاعرنا ابن المقرب بعلماء واسط وبغداد وفقهائها امثال العالم الشافعي مذهب الدين الواسطي المشهور بالورع والتدين وبتضلعه في الفقه والفرائض والحساب ، وقد اثنى عليه ابن المقرب ، كما وقد اتصل بالاديب البغدادي ابن نقطه صاحب كتاب (المستدرك على ابن ماکولا وكتابه الاكمال) ولقد ذكر ابن نقطة ابن المقرب في كتابه المستدرك مثنيا عليه .

وقد اتصل ايضا بالعالم الحنبلي عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي الملقب بمحب الدين والمكنى بابي البقاء ، وهو نحوي فقيه صاحب تصانيف كثيرة وكان لواء أهل العربية والأدب ببغداد ، وقد حكم لابن المقرب بالتفوق في الشعر وقد مر معناه ذكره في حياة ابن المقرب واستشهاد ابن المقرب بشهادته في الرد على خصومه .

وبهذا الموجز السريع والالمامة البسيطة برحلات الشاعر واتصالاته بأعيان زمانه ندرك مدى صلته بامراء عصره واعيانهم في البحرين والعراق ، وندرك ثانيا أن لهذه الرحلات فضلا كبيرا في تنمية ثقافته وتزويده برصيد واف من المعرفة بطبائع الناس وحياتهم ، كما ندرك الفارق وان لم يكن كبيرا بين شعر صباه في اليمامة وشعره عند اكمال رجولته وتحمله لاعباء الحياة ووقوفه امامها كالطود الشامخ ، كما ندرك اخيرا ما وصل اليه التعاون الادبي بين القطرين العربيين في وقت كانت تسوده دياجر الظلام والفوضى والاضطراب . وتهدهد ~~هنا~~ من كل جانب هجمات تتارية من المشرق وصليبية من المغرب .

الباب الثالث

شعره

يعتبر ابن المقرب بحق عالماً من أعلام الشعر العربي، وفحلاً من فحول المبرزين الذين رفعوا لواءه في عصر تصدعت فيه دولة البيان، وتتداعى فيه صرخ الشمر، وافل فيه نجم الأدباء والشعراء - وهو القرن السابع الهجري - حتى لقد أصبح الشاعر المجيد غير موجود. فهو قد نشأ وعاش في أرض الجزيرة العربية في ربوع البحرين، وهي أرض كان الشعر الجيد الرصين قد هجرها منذ أمد بعيد، فلم تعد صعيداً لفحول الشعراء. ولهذا فإن عصر ابن المقرب عصر افقر من الشعراء الحقيقيين، فلم يكن هناك يومذاك شاعر ملغى النظر، ويسترعي الانتباه مثل ابن المقرب.

والقارئ لشعره يحس في قرارة نفسه أن وراء هذا الشعر رجلاً عملاقاً، وشاعرًا خطره وأثره، ويدرك لغوره بأن في معانيه من البعد والعمق والاتقان، وصدق الشهور ما لا يقل بحال عما في ملهاني كثير من شعراء الضاد المبرزين. فهو شاعر مجيد، تتمثل في شعره الأمانة والبراعة، ومثانة الفكر، وسمو الفأية، كما يتمثل فيه قوة المزجعة، وجبروت النفس وصدق التجربة. ومن أبرز سمات شعره أنه طويل النفس في معظم قصائده إذ تبلغ أحياناً ما يزيد على وأة وخمسين بيتاً كما في قصيدته المبيية التي قالها وهو في بغداد سنة ٦١٣هـ مفتخراً بأبائه وأهل بيته، ذاكراً طرقاً من أياهم، وقضائهم بدأها بقوله:

قم فاشدد العيس للترحال معتزماً

وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما

ولا تَلَفَّتْ إلى أهل ولا وطن

فالحريير حل عن دار الأذى كرم^(١)

كما وأن معظم قصائده لا تقل عن الخمسين بيتاً، وله من جزالة اللفظ، وقوة التعبير ما يغطي هفوة المعنى أحياناً، أن وجدت عنده عند طول القصيدة. أما معانيه فخمة وعميقة في عمومها. ولكن أخيلته ليست بعيدة، ولا واسمة التصور كما نجده عند فحول الشعراء كبشار والمتنبي، وهو في أكثر شعره طبيعي

(١) انظر ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٥٢٦.

العبارة يسيل الشعر على لسانه بدون عناء أو تكلف، وربما كان يقوله على البديهة أحيانا، ولذلك جاء بدون أعياء فكر وعصر قريحة، بل ترى في أسلوبه انسياقا وتآلفا واجتنابا للتراكيب المعقدة للمعنى مع حفاظه على سمات الفخامة وعلو حسم اللغة. ولئن اكتنفت شعره بعض الملاحظات البسيطة في اللغة أو النحو أو العروض، أوارتباك في التركيب، والتأليف - وما أقل ذلك عنده - فهو مالا يخلو منه شعر شاعر حتى الفحول.

منهج

وهو في معظم قصائده منهج متقدمي الشعراء، ويسير على منوالهم ويترسم خطاهم، وسننهم، حيث يبدأ القصيد بفرض غير الفرض الاساسي الذي نظمت من أجله، ومنه ينتقل الى غرض آخر وربما الى أكثر حتى ينتهي ببراعة وحسن انتقال الى الفرض الرئيسي في القصيدة، وقد يستهل قصائده بالفرض الرئيسي بدون مقدمات. ومن الملاحظ على شعر شاعرنا ان القصيدة لديه ليست وحدة قائمة بذاتها، وانما ذلك هو البيت - في الغالب. ولقد قال فيه بعض النقاد وابدوا ملاحظاتهم على شعره ومنهم ابن مأكولا - حيث قال انه شاعر محسن . . .

وقال عنه الحافظ النندري "كان شاعرا مجيدا مليح الشعر... (١)"

وقال عنه ايضا ابن الشعار الموصلي " . . . وكان شاعرا مجودا منتجعا كثير

المدح قليل الهجاء جيد القول متين، قوى اللفظ رصينه "

، وهو احد الشعراء الموصوفين، المشاهير في عصرنا المعروفين. أقر له بالحدق أئمة

العراق من ذوى الادب والعلم. ومذهبه في الشعر مذهب المتقدمين، في جزالة

الالفاظ، وابداع المعاني (٢) وقال عنه ابن الفوطي انه كان شاعرا مسترفدا جـ

الالفاظ (٣).

فبعد هذا الاستعراض السريع لآراء النقاد حول شاعرنا ابن المقرب ندرك أنه قد

اعترف بشعره واستجاده نخبة من الادباء الأوائل فلا يسمنا الا أن نعترف بحقه والا

نغفطه ذلك فقد ساهم في الشعر العربي مساهمة فعالة فجراه الله عن الشعر العربي

أحسن الجزاء.

(١) كتاب " التكملة لوفيات النقلة " في ذكر وفيات سنة ٦٢٩ هـ ٤٦٦ وقد ورد ذلك في جريدة اليمامة السعودية من مقالة للشيخ حمد الجاسر عن ابن مقرب في عدد ٣١٢ تاريخ

٧ / ٩ / ٨١ هـ .

(٢) ابن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤ هـ في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) وقد ورد أيضا في مقالة حمد الجاسر عن ابن المقرب في جريدة اليمامة

(٣) ابن الفوطي المتوفي سنة ٧٢٣ هـ في كتابه "تلخيص مجمع الآداب" عن المصدر السابق .

المدح :

يعتبر غرض المدح الغرض الرئيسي الذي طرقة شاعرنا وبلغ فيه الذروة ، ومعظم ديوانه استفرقه في هذا الغرض ولكنه مع كثرة مديحه قد قيده بشروط فانظر اليه حيث يقول :

وليس في الشعر من فضل يطول به مثلي ولوفاق أعلى سبعها الطول ^(١)
بل فضل مثلي ان يسمو بهيمته عن مدح قدم عن العليا في شغل ^(٢)

فمديحه أصفاه لمن يستحقون الثناء ، فهو لم يطر من لم يستحقه عن جدارة قط ، ولم يمدح في حياته من لا يستوجب المدح — وهو الغد — لا من قريب ولا بعيد لا تربطه به صلة النسب : فانه يحمد له — دون ريب — أن جعل مديحه واطراءه في معظه وقفا على ابناء عمه ، علاوة على ان هذا المديح كان منصبا على غرض نبيل يتلخص في المطالبة بحق وقه المشروعة التي ورثها كابر عن كابر عن أبيه وجده والتي اغتصبها منه عسفا وعدوانا ابناء عمه الذين لعب الوشاة به لديهم دورا كبيرا بدافع الحسد والحقود ، واهانة لهذا النبوغ المبكر في نفس هذا العبقري . فمدحه لهم في عمومها انما هو من قبيل الاستعطاف والملاينة ، لم يرم به الى التكسب أو النوال كما هو شأن كثير من الشعراء على مر العصور .

وتبدو في أماديه عامقزة النفس ، وقوة الشكيمة وشعوره بجليل مكانته من قومه وعشيرته وخاصة انه لا يقل عنهم حسبا ولا نسبا وعقلا ، ولم يمدح من بني عمه الا من هو جديرو بالمدح ، فهو القائل في احد ابنا عمه من ال فضل :

واني لمدح ولونبى بي الدهر واجتاحت نوائيه وفرى
ولكنك الملك الذى من سحائه نجومى التي تضى ، ومن شمسه بدرى
ومن لحمه لحمى ومن دمه دمى ومن عظمه عظمى ومن شعره شعرى
وأباءوك الفر الكرام أبوتى ويحرك من تيار آدبه بحررى ^(٣)

واين المقرب لا ينسى نفسه في مقام مدحه غيره .

وعلى هذا فمديحه لابن عمه هو مديح له هو نفسه في الحقيقة ولعلنا لا نبالغ حينما نقول أن هذا الاسلوب درج عليه ابن المقرب في اكثر اماديه وخاصة لبني عمومته ، وفي هذه

(١) السبع الطول : ويعنى بها السبع المعلقة على الكعبة .

(٢) الغد : المعنى الثقيل من الرجال والقصيد في ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٣٨٣ .

(٣) الديوان ص ٢٠٦ .

القصيدۃ روح تذكرنا بروح ابي فراس الحمداني ، وهو يملأ الآفاق بأناشيد العزة والكرامة وبالحن العروبة والقومية بعث بها من خلف أسوار سجن القسطنطينية الى ابن عمه سيف الدولة بحلب .

ولقد مدح شاعرنا بن المقرب ابنا عمه آل فضل بن عبد الله وأكثر من مدحهم بما كان سببا في اثاره فقد الفرع العيوني الآخر المنافس لآل فضل في الحكم للشاعر ، فعند ما أمسك هذا الفرع بزمام الأمر اعتقدوا أن للشاعر مطامح خاصة في الحكم وذلك بفعل الوشاة والحاقدين ، ومن ثم ناصبوه العداء ثم صادروا أملاكه ، وأودعوه السجن ، ولعلنا لانعدو الحق يققنا ان قلنا ان السبب في هذا الكره ، وهذا التحدى ليست الا قصائده في آل فضل ، وما يدل على ذلك ماورد في القصيدة التي يمدح بها الامير مقد من ماجد — من آل فضل — والتي مطلعها :

أَسْكُتُ عَنْ مَوْلَى الْوَرَى أَمْ أَعَاتَبْتَهُ وَأَهْمَلُ وَعَدَى عِنْدَهُ أَمْ أَطَالِبُهُ ؟ (١)

ففيها يقول :

ولولا هواكمها شَقِيتُ وَلَا غُدَا يَصُكُّ بِرَجُلِي الْقَيْدُ مِنْ لَا أَشَاغِبُهُ
وَلَا اجْتَاكَتِ الْأَعْدَاءُ مَالِي وَلَا انْبَرَى يَطَاوِلُنِي مِنْ لَيْسَ تُحْصِي مَهَائِبُهُ

وبدل على ذلك ايضا قوله مخاطبا آل فضل :

أَمَّا اجْتِيحَ مَالِي فِي هَوَاكُم وَأُسْهَرْتُ بِذَا السَّجْنِ عَيْنِي وَالْعَيُونُ نِيَامُ ؟ (٢)

وقوله ايضا فيها :

إِذَا كُنْتُ اخْشَاكُمُ وَاخْشَى عِدْوَكُمْ فَإِنْ حَيَاتِي شَقْوَةٌ وَغَمٌّ — رَامُ (٣)

وقوله :

فَبُورِكْتُمُو يَا آلَ فَضْلٍ فَانْكُـمُ ضِيَاءُ ، وَبَعْضُ الْمَالِكِينَ ظُلَامُ (٤)

ولقد اختلفوا مبررات لحقد هم عليه ومضايقته وذلك أمام الناس فقط ان لم تكن صحيحة .

ومع هذا فانه للأسف الشديد كلما أصبح الحكم في أيدي آل فضل ، لم يسلم من الأذى ، فقد وشى به لديهم ، فتدهورت علاقته بهم أيضا ، ذلك أن خصومه خشوا أن ينجم عن علاقته الطيبة مع آل فضل بروز صيته وظهور أمره ، فصوروه له بصورة كاذبة ،

ووجدوا منهم تجاوبا في ذلك كما جعل شاعرنا يعيش حياته شريدا متقلبا بين خصومه من عشيرته .

ومن قوله في الفضل بن محمد مادحا له ومذكرا اياه بما ناله من أذى نتيجة مدحه لهم بادئا لها بقوله .

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد^١
 اذا خانك الا دنى الذي أنت حزينه فلاعجبا ان اسلمتك الا باعد^(١)

ومنها قوله :

أيا فضل قد طال انتظاري ولم يقم شتاءً وقیظاً عند مثلك وافسد^٢
 وقد زالت الأعداء لا الغوض بائر^٣ ولا البحر ممنوع ولا الدخيل فاسد
 ولا انت محجور التصرف في الندى عليك رقيب في نواك راصد
 ولا في بني فضل بخيل وانهم اذا اغبرت الآفاق غروا أما جد
 فمن اين يأتي اللوم يا بن محمد ومجدك في بيت العيون زائد
 أترضى بأن تغدو تسامى ركائبى حمولاتها كبر انها والمقاود
 لحق مدحي ام لحق مودتي لكم لأن البيت والجد واحد
 فلا تقطن ما بيننا من مودة وقربى وغل الشعر فالشعر كاسد
 ولا تنسين ما نالني في هواكم وقد ظفر الساعي وقل المساعد
 يقومه حيا نزار ويمر رب^٤ شهود وفي الدعوى يمين وشاهد
 لقد كنت ارجو في جنابك حاله يموت لها غيظا غير وحاسد
 فهات فقل لي ما أقول لا سرتي فكل عن الأحوال لا بد ناشد
 وكلهم سام الى بطرقه يظن بأن الزارع الخير حاسد
 وما فضل من لا يرتجى لملمة^٥ تلم ولا تبغى لديه الفوائد^(٢)

الخ ...

وقد بلغت هذه القصيدة العصماء ثلاثة وسبعين بيتا .

ومعها الحقبة الفرع الثاني وهم — ال أبي منصور على بن عبد الله — من أذى ومضايقة ،

(١) ديوان الشاعر ص ١٤

(٢) السابق ص ١٤٦ .

الاسلوك هذا المنهج اتقاء للشر وطمعا في الانصاف وحفظ الود ، وابقاء للحكم في أيدي قومه من أن ينفلت منهم الى الخصوم والمناوئين ، ثم تسجيلا وتخليدا لمناقبهم ومناقب سواهم من الملوك والأمرأء والولاة الذين شهروا بالفضل والنبيل وعرفوا بالرجولة والشهامة .

الفخر :

الفخر فرض من أبرز الأغراض التي نظم فيها ابن المقرب شعره ، وأسهم فيه بحفظ وافر ، والمطلع على ديوانه أول ما يطالع هو هذا الغرض الذي صال وجال فيه ، وكيف لا يكون هذا ، وقد وجد الشاعر عدته التي تعينه في ذلك وهو رفعة نسبه وقومه وعشيرته ، فدخل ابن المقرب باب الفخر والحماسة من أوسع ابوابه ، قال سيادة في شرق الجزيرة العربية كانت لقومه ، انتزعتها - كما عرفنا سابقا - من أيدي خصومهم بعد معارك وصولات حاصدة طاحنة . واستطاعت هذه الأسرة أن تفرض سيطرتها مدة من الزمن على الآخرين فوققت سدا منيعا ضد عبث البادية وهجمات الطامعين ، ويكفي الدولة الصيونية فخرا اخراج القرامطة من البحرين واسقاط دولتهم على يديها .

هذا الى ما عرف به امرأؤها من اصالة في الفضل والكرم والشجاعة والاباء ، والبذل والعطاء الامرا الذي انطق الالسنه بالثناء عليها ويبحث في النفوس اكبارها .

فليس على شاعرنا الا ان يسجل هذه الامجاد وهذه المناخر وان يحيلها ببراعته وفكره الى ألفاظ ملتزمة ، وعبارات متأججة ، ليحفظها الزمن والتاريخ لقومه وقد فعل ذلك . فاعتبر بحق واحداً من شعراء الفخر والحماسة المبرزين ، فاستمع اليه وهو يفخر بقومه مبالغا في ذلك اشد المبالغة : (١)

| | |
|---|--|
| هُمُ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ وَالنَّاسُ فَضْلُهُ | اِذَا نَابَ أَمْرُ أَطُّ مِنْ حِمْلِهِ الصُّلْبُ (٢) |
| بِهِمْ يُدْرِكُ الشَّأْ وَالْبَعِيدُ وَعِنْدَهُمْ | لَمَلْتَمَسَ الْمَعْرُوفُ ذُو مَرِيعٍ خَصْبُ |
| وَفِيهِمْ رِبَاطُ الْمَكْرَمَاتِ وَرِاثَةُ | يُورَثُهَا الْمَوْلُودُ وَالِدُهُ النَّكْدُ |
| وَلَوْلَا إِيَادِيهِمْ وَفَضْلُ حُلُومِهِمْ | لَزَلَزَتْ الْأَرْضُونَ وَانْقَضَتْ الشُّهُبُ |
| خَفَافٌ إِلَى دَاعِي الْوَفَى غَيْرَ أَنَّهُمْ | ثَقَالُ إِذَا خَفَتْ مُصَاعِيْمُهَا الْهَلْبُ (٣) |
| إِذَا الْجَارُ امْسَى نَهْبَةً عِنْدَ جَارِهِ | فَأَمْوَالُهُمْ لِلْجَارِ مَا بَيْنَهُمْ نَهْبُ |

(١) الديوان تحقيق الحلوص ٢٩٠ . (٢) هم الناس ؛ يعني آل ابراهيم : الأطيع : صوت

يظهر عند الحمل الثقيل والصلب : الظهر .)

(٣) مصاعيمها : الفحول من الابل ، الهلب : جمع اهلبي ، وهو كثير هلب الذنب .

أطاعت لهم مابين مصر الى القنا
وجانشت نفوس الروم حتى ملوكها
تحن الى بذر النوال اكفهم
فاكثر ما تلقاهم ولباسهم
لهم أبدا ناران : نار بها الصلا
وأياهم يومان يوم لناك
ويوم تقول الخيل والبيض والقنا
وان هنن بالعدان كان قراهم
أولئك قومي حين ادعوا وأسرني

الى حيث تلقى دارها الشعر والنقب (١)
اذا ذكرت املاكهم هزها الرعب
حينئذ كذا السقب فارقها السقب (٢)
حيبك الدلاص التبقيات لا العصب (٣)
تلذ ونار لا يقاومها الهضب (٤)
يقول نؤوا الحاجات من فيض حسب
به والعدى : قطنا فلا كانت الحرب (٥)
سديف المتالي لا عتود ولا وطب (٦)
وينجيني منهم شمارخه غلب

|||

هذه القصيدة تعتبر بحق من روائع فخرياته التي نظمها متحمسا فيها لمجده وعرويته فالفاظها جزلة منتقاة، وعباراتها، متينة متناسقة، ومعانيها قوية جبارة، وروحه فيها مطلعة متحمسة، وكل ذلك جاء متناسقا وملائما مع الغرض في القصيدة، فلعلنا لا نبالغ حين نقول انها لا تقل عن مستوى قصائد الفخر الجيدة في الشعر العربي عامة. ولئن اکتنف القصيدة بعض المبالغات، فان ذلك كان في غمرة الحماسة التي أستولت عليه دون شك وهو يمدد مفاخر قومه. ولقد استطاع بجودة تعبيره، وفخامة ادائه أن يغطي هذه المبالغات ليجعلك تسلمه برأيه كحقيقة لا غبار عليها.

ويكفي شاعرنا فخرا قصيدته الميمية التي جادت بها قريحته فمضى محبرا فيها أمجاد قومه وعشيرته وسواقفهم المشرفة وهي تبلغ مائة وخمسين بيتا وتعتبر سجلا تاريخيا للدولة العيونية وقد بدأها بقوله :

قم فاشد العيس للترحال معترما وأرم الفجاج بها فالخطب قد فقما

- (١) القنا : موضع باليمن، والشحر : ساحل البحرين بين عمان وعدن، والنقب : بلدة باليمامة
(٢) السقب ولد الناقة. (٣) درع دلاص : ملساء، لينة، التبقيات : نسبة الى تبع اليمن والعصب : ما يشد على الجسم.
(٤) الصلا : الشواء، والهضب الجبل المنبسط، ويقصد بالنار الاولى نار الضيافة، والثانية باسهم وشدتهم.
(٥) قطنا : اسم فعل بمعنى كفانا.
(٦) العدان : هو الحولى من ولد المعز. والسديف : سنام الابل، المتالي : الابل للم تنتج حتى صافت.

ومنها :

أنا ابن اركان بيت المجد — لا كذبا —
قومي هدم القوم في بأس وفي كسر
في الجاهلية سدنا كل ذي شرف
وصار كل (معدى) لنا تبعا
حطنا نزار وذننا عن محارمها
حتى أتى الله بالاسلام وافتتحت
وفضل آخرنا عن فضل أولنا
شدنا من المجد بيتا لا يقاس به
سل القرامط من شطى جماعهم
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم

والنازلين ذرى العليا، والقما
أن ادعى غيرهم ما فيهمو وهما
بالمأثرات وسدنا العرب والعجم
يرعى بأسيا فنا الوسمى حيث هما
ولم ندع لصنادى عزها حرما
كل البلاد واضحة للانام سما
يفني ولكن بحرأ هاج فالتظما
ذات العماد ولكن لم تكن أرما
فلقا وغادرهم بعد الملا خدما
وارجفوا الشام بالفارات والحرما

ومضى في هذه القصيدة العصماء، شارحا ما فعله القرامطة ببلادهم من تقطيل
للانفس البريئة وتعذيب للشعائر الدينية، وشارحا افضال قومه الميونييين في مناهضة
هذه الطائفة، وبلاءهم البلاء الحسن في محاربتها حتى تحقق على أيديهم ما كان
أهل البلاد يصبون اليه من عزة وكرامة واستقلال، ثم عطف بعد ذلك معددا مفاخر
أفراد عشيرته البارزين عارضا كل ذلك بأسلوب جزل يذكر بدولة الشعر العربي
في ازهى عصوره .

ومن هذه القصيدة مفتخرا بالامير فضل بن عبدالله بن علي الميوني قوله :

منا الذى قام سلطان العراق له جلاله والمدى والبعد بينهما
منا الذى حاز من تاج ومن تظمر وصير الرمل من مال العدو وحى

ففي البيت الأول يشير الى قصة طريفة، تشهد بعظمة كرم الفضل وملخصها :
أن تجارا من البحرين قدموا الاحساء ففرقوا في الطريق ونجوا بأنفسهم ولكن بضائعهم
التهمها البحر، فأرسل الفضل ويحث عنها وهي قريبة من الشاطي، فوجد الشيء
الكثير منها، فدعى بالتجار واعطى كل صاحب بضاعته، ومنهم صاحب جواهر ثمينه
اعطاها له فذهب الى العراق ليبتاعها، فعلم بذلك سلطان العراق فاستولى عليها
ودفع لصاحبها ثمنا بخسا، فلم يأبه بذلك التاجر بل زاد على ذلك فقال للسلطان
خذها بلاقيمة فانها هبة من عري كريم، فانتبه السلطان وقال من هو : فقضى عليه
القصة فوقف السلطان اجلالا لذلك الامير ودعى بكاس من شراب — كما تقول الروايقة

وقال انما احتسى هذا واقفا من باب الاقرار بالفضل لسيد البحرين ، وبفضل اريحته ،
وبعد هذا امر بدفع ثمن الجواهر كاملا بدون نقص .

ومن افتخاره ايضا بالامير ابي سنان محمد بن الفضل بن عبدالله بن علي قوله
فيها :

منا الذي حين عد الألف خازنه لضيفه قال : ضاعفها ارى أمما
وذلك حينما وفد عليه وافد فأعطاه ألفاً ورأى انها قليلة فأمر بضعفها وهذا من مبررات
كرمه فقد انتقصها حينما رآها .

وقال فيها ايضا :

منا الذي من نداه مات عامله غما وأصبح في الأموات مختوما
وكفوله ايضا في أحدهم وهذا منها :
منا الذي جاد ايثارا بما ملكته كفاه لا يد يجزيها ولا رحما
ومضى ابن المقرب في هذه القصيدة عاددا مفاخر قومه ، ذاكرا مواقفهم المشرفة
فردا فردا حتى انها تعتبر بحق سجلا تاريخيا للدولة الميمنية من أولها الى
آخرها .

واخيرا يختم قصيدته هذه قائلا :

أبياتنا لذوى الآمال منتجع اذا الزمان يرى كالعير أو عرما
وماعدت عشيرا من مناقبنا ومن يعدى ثرى يبرين مرتكما^(١)
وخير ما يقال عن هذه القصيدة العصماء أنها بمثابة سجل خالد في ضبط اصلاحات
الميينيين وامجادهم ، كما تعتبر صفحة تاريخية طبعها ابن المقرب على جبين الدهر
تشهد بفضل الميينيين بالاضافة الى أنها مصدر من مصادر التاريخ السياسي
لهذه الناحية من جزيرة العرب . وفخره لا يقف في الغالب عند عشيرته بل يتعداها
الى قبيلته الأم ، عبد القيس ، واحيانا الى ربيعة بل والى معد وعدنان كما رأينا
في أول القصيدة .

() () ()

(١) يبرين : واحدة في الربع الخالي من جزيرة العرب تكثر رمالها .
والقصيدة في ديوان الشاعر ص ٥٥٤ .

الشكوى والآنين :

قضى ابن المقرب حياته في ضنك وضيق فبات في هم وحزن فأبناء عمه ضايقوه
وسلبوا أمواله وأودعوه السجن مطاوعين فيه قيل الوشاة والحاسدين فظل صـوت
الحرمان واضحا مجلجلا بين ثنايا شعره ، وظل حظه العاثر في الحياة مصدرا لبـث
شكاته وانينه ، ونسمع هذا الآنين والشكوى أكثر مانسمع في كثير من قصائده التي قالها
في الامراء من بني عمه الذين اغتصبوا أمواله واملاكه ، فتصور أن الشر والاذى يحيط به
من كل جانب ، كما تصور تحالف الرزايا والمنايا ضد طموحه وآماله . فهو كما عرفنا عنه
من بيت أمار تغريق في المجد ولكن حظه العاثر وقف امام مطالبه سدا منيعا ، فاستمع
اليه وهو يقول : ساخطا على زمانه ومتبرما منه :

| | |
|---|---|
| أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْخُطُوبِ أَصَالِي | أَلَا مَا لَأَحْدَاثِ الزَّمَانِ وَمَالِي ؟ |
| يَفْجَمْنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِرَبِّي | بَأَنْفَسِ مَالٍ أَوْ بِأَشْرَفِ آلِ |
| أَرَى الشَّرَّ قَدَامَا وَخَلْفَا وَاتَّقِي | نَبَالَ الْإِذَى عَنْ يَمْنَةِ وَشِمَالِ |
| إِذَا قُلْتُ جَلِيَّ بَعْضُ هَمِّي أَتَتْ لَهُ | نَوَائِبُ أَمْضَى مِنْ حُدُودِ نِصَالِ |
| كَأَنَّ الرِّزَايَا وَالْمَنَايَا تَحَالَفَا | عَلَى عَكْسِ آمَالِي وَبِتُ مَالِي (١) |
| لَحَى اللَّهُ هَذَا الدَّهْرُ كَهَيْسَتُفْرَنِي | لِخَوْضِ بَحَارٍ أَوْ لَشَقِّ جِبَالِ |
| يُكَلِّفُنِي جَرَى الْجَوَادِ وَقَدْ لَوَى | شَكَالًا عَلَى سَاقِي خَلْفَ شِكَاكِ (٢) |
| وَقَدْ مَهَى مَخَ الْعَظَمِ حَتَّى أَزَارَهُ | وَبَدَّ لَهُ مِنْ نَيْكِهِ بِهِ زَالِ |
| وَهَلْ يَقْطَعُ الشَّكْلُ الْجَوَادَ عَلَى الْوَنَى | وَلَوْ جَالَ فِي الْآرَى كُلِّ مَجَالِ (٣) |
| أَقُولُ وَقَدْ فَكَّرْتُ فِي أَمْرِ خِلَاتِي | وَأَمْرِي وَحَالِ الْأَرْدَلَيْنِ وَحَالِي |
| إِلَّا لَيْتَنِي قَدْ كُنْتُ خَدْنَا مَخَادِنَا | لَخِيطِ نَعَامٍ فِي الْفَلَا وَرَعَالِ (٤) |
| وَلَمْ أَكْ عَارِفَتِ اللَّثَامِ وَلَمْ أَنْطَ | حِبَالِ خَسِيسٍ مِنْهُمْ بِحِبَالِ (٥) |

فترى في هذه الابيات شكواه من الزمن وقد قلب له ظهر المجن كما شكا خسة اللثام ،
والمختابين ، المخادعين الذين يتلونون بكل لون ، ويتقلبون في كل مذهب ، فقد مني
بصد اقضماف النفوس ، وصغار القلوب ، وسيي الطبع والخلق ممن لم يراعوا للـود

(١) بث مالي : وقطع مرجعي . (٢) الشكال : الحبل الذي تشد به قوائم الدابة .

(٣) الوفى : الضعف والاعياء ، والارى : ما يعقل به الفرس .

(٤) خدنا : صديقا ملازما ، خيط نعام : الجماعة من النعام ، الرثال : فراخ النعام .

(٥) حبال خسيس : حبال

حقاً ولا للمصداقة وفاءً ، ويستمر في وصفه لهم فيقول :

| | |
|--|-------------------------------|
| لسان مُحبٍّ من طَوِيَّةٍ ^١ قال | فلم أر منهم غير حُبٍّ يمدّ لى |
| ولكنّه في اللّمس حيّه ضال ^٢ | له شيمة السنور في لطفٍ خدعه |
| ولا حظني منه بعين جلال | إذا جئت قد آني وأدى بشاشة |
| تمحلّ في عيّبي بكلّ محال ^٣ | وان غيبتُ أدنى ساعةٍ من لحاظه |
| همُّ شرٍّ ماضٍ في الزمان وتال ^٤ | الى الله اشكو منجى في معاشر |
| أليم عذابٍ في اشد نكال | صحبته مستصفاً فوجدتهم |
| ابتسوء أخلاقٍ وقبح خصال | إذا قلت حلّ الدهر غلّ صدورهم |
| ومجدٌ وبيتٌ في ربيعة عال | ولا ذنب لي الا حجتى وبراعة |
| بودى ونفسي لا سفّل المتعالي ^٥ | وميلي الى أهل التواضع والعلى |

()=()

ومن شكواه في حاله مع ابنا عمه الذين صادروا أمواله وأودعوه السجن نتيجة لقليل الوشاة والحاسدين في معرض كلامه عنهم قوله :

| | |
|--|------------------------------|
| يضعف إكرامي وترجى مكارمي | وقد كنت ذا مالٍ حلالٍ وثروة |
| بما حزته من ضيقة ودراهم | فأعراني الوالى المشوم وفاتني |
| مألى وأصغى لا ختلاق النائم | فمال على حالى ومالى وثروتي |
| يجأويني فيها ثقال الأداهم ^٦ | وبت عزأى السجن في مدّ لهمكة |
| على نشي أشكو الوغير راحم ^٧ | وأخرجني من بعد يأسٍ وقد أتى |

صدقا ان هذه الابيات تفيض بساخن الدمع وتنبيء عن غصة نفس وحسرة أمل ، كما وانها تحكي قصة حرمان في حياة هذا الشاعر المبقرى العظيم .

(١) الخب : المخادع ، والطوية : ما تخبئه النفس ، القالى : المبغض . (٢) الضال من السدر :

ما كان عذبا ، أو السدر البرى . (٣) المحال : الكيد وروم الامر بالحيل والكذب .

(٤) منجى : ظلوى بينهم ووجودى فيهم .

(٥) القصيدة تبلغ ثلاثة وسبعين بيتا كلها شكوى وانين من الزمن وأهله وهي في ديوان

الشاعر ص ٣٧ .

(٦) الاداهم : القيود .

(٧) القصيدة في ديوان الشاعر ص ٤٩٦ .

العتاب والنصح :

عاش شاعرنا ابن المقرب محروما من عطف ابناؤه عمه الذين يتقلدون مناصب الخلافة بل لقد لقي منهم الامرين ، فقد سبوا أمواله واملاكه ولم يكتفوا بذلك بل اودعوه السجن وضايقوه حتى ترك لهم البلاد ، وذهب يهيم على وجهه في شبه الجزيرة العربية ، الا انه مع هذا كله فهو حريص على اخبار دولته وابناؤه عمه يتفقدوها قربت أم بعدت به الدار ، فكان يوجه لهم اللوم والعتاب على معاملتهم اياه كما يوجه لهم النصح اذا رأى في ذلك مصلحة لهم ، فكان يعتب في شعره على بعض الامراء الذين ابعدوه خوفا منه ، واسلموا مقاليد الامور وازمة الحكم الى حثالات الناس من اتباعهم وحاشيتهم ، الامر الذي عاد بأوغم النتائج ، على الدولة فيما بعد ، بل وكان سببا من أسباب تدهورها ، فقد عمل هؤلاء من طرف خفي على الكيد لهذه الدولة حتى استطاعوا اسقاطها فيما بعد .

وقد حاول ابن المقرب نصح قومه وتنبيههم ولكنهم لم يصغوا له ولم يصيروه بالابل لقد نفروا منه وتشككوا في اخلاصه وفي مساعيه ، واعتقدوا انه منافس لهم ، مما حدا بهم — كما قلنا — الى مضايقته بل والى تتبع حركاته وسكناته ، وقد صور ذلك ابن المقرب حيث قال في قصيدته التي بدأها بقوله :

دع الكاعب الحسناء تهوى ركابها وتبنى لها من حيث شئت قبابها^١
ومنها قوله :

| | |
|--------------------------------|---|
| وما شجاني — يا القومي — فمبرتي | لدى كل حين لا يحف انسكابها |
| تضاعن املك ابوها اذا عترت | أبي ونصابي حين أعزى نصابها |
| أبى أن يلم الدهر فيما يلمه | عصاً بينها أو أن يرجوا عتابها |
| أطاعت مقالات الأعادي وغرها | تملقها في لفظها واختلابها |
| فأنعت على ارحامها بشفارها | وأوهن عظم الاقربين اصطلابها |
| ولو قبلت نصحي واصغت لدعوتي | وانجح فاشي دعوة مستجابها |
| لداويت كلماها وابرات داءها | فلم يتحلم ، بعد صبح اهابها ^٢ |

(١) ديوان الشاعر تحقيق الحلوص ٤١ .

(٢) كلماها : جرحاها ، وحلم الجلد : وقع فيه العلم وهو دود يقع في الجلد فيأكله فاذا دبغ

وهي موضع الاكل .

وَقَدْتُ إِلَى اللَّيْلِ السَّيْنِدَى وَلَمْ أُنَمْ
وَلَكِنْ لَأَمْرٍ أُخْرُونِي وَقَدْ مَضَى
تَصِيبٌ وَمَاتَدْرِي وَتُحْطَى وَمَادَرْتُ
فِيَا صَفْقَةَ الْخُسْرَانِ فِيمَا تَبَدَّلُوا
وَهَلْ قِيسَتُ الْخَيْلِ الْعَرَابِ بِعَانَةِ
لِذَا طَمَعْتَ فِينَا الْبِرَايَا وَاصْبَحْتَ
وَسَالَتْ لَنَا أَنْ نَابَهَا مُقَدَّرَةٌ حَرَّةٌ
عَلَى الْفُجْرِ حَتَّى يَصْحَبَ الْغَيْلُ لَأَمَهَا
زَعَانِفٌ لَا يَنْهَى الْعَدُوَّ وَاحْتِسَابُهَا
وَتَعَدُّ وَفِي حَيْلِ الْعَدُوِّ احْتِطَابُهَا
وَهَلْ يَتَسَاوَى تَبَرُّهَا وَتَرَابُهَا ؟
كُدَادِيَهْ لَا يَلْحَقُ الضَّبَّ جَابُهَا
تَهَرُّ عَلَيْنَا كَالشُّرَاتِ كَلَابُهَا
وَعَهْدِي بِهَا تَسْطُو عَلَيْهَا نَابُهَا

فانذار كيف اختلط عتبة بالحسرة والكمد والالام فهو بهذا يعبر عن صدق شعور كامن في نفسه تجاه موضوع العتب. ومن أروع قصائده في العتب، قصيدته التي يعتب فيها على الأمير فضل بن محمد بن أحمد بن الحسين، ويشدد عليه فيها باللوم لجفائه له، وقطيعة له بحق القرابة، والاستهانة بحقوقه لديه، ويذكر فيها بما مضى ضاربا له الامثال الموجهة، ومظهرا له آيات الندم على مديحه له في السابق، ويقال أنه انشدها له ثم رحل وهي تبلغ ثلاثة وسبعين بيتا، ومطلعا :

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد
وهب لصروف الدهر ما انت واجد
ان اخانك لا نالذي أنت حزبه
فلا عجب ان اسلمتك الأبعاد

ومنها :

أيا فضل قد طال انتظاري ولم يقم
وقد زالت الاعذار لا الغوص باثر
ولا أنت محجور التصرف في الندي
ولا في بني فضل بخيل وانهم
فمن اين يأتي الموءم يابن محمد
أترضى بأن تغدوا تسامى ركائبى
شتاء وقيفا عند مثلك وافسد
ولا البحر ممنوع، ولا الدخول فاسد
عليك رقيب في نوالك راصد
ان اغبرت الآفاق غرا ماجد
ومجدك في بيت العيوني زائد
حمولاتها كثرانها والمقاود

(١) السسندى : الطويل ، والجريء من كل شيء ، والفجر : الجواد أو الماء الغامر ، واللام جمع اللامه وهي الدرع .

(٢) العانة : الاتان . الكدادية : نسبة الى كداد فعل تنسب اليه الحمر . الحأب : الحمار الخليظ . (٣) كالشرات : الشرات فرقة من الخوارج ، وغلب الظن ان الناسخ خطأ والصواب : تهر علينا كالشرات كلابها .

(٤) القصيدة في ديوان الشاعر ص ١٤ . والبيت الثاني قيل ان الملشعب العزيز آل سعود كتبه على احد ابواب قصره في الرياض وكان - رحمه الله - كثير القراءة لشعر ابني المقرب العيوني .

لحق مديحي أم لحق مودتسي لكم أم لأن البيت والجد واحد ؟
 فلا تقطعن ما بيننا من مودة وقربى ، واخل الشعر فالشعر كاسد
 ولا تنسين ما نالني في هواكم وقد ظفر الساعي وقتل المساعد
 يقوم به حيناً نزاراً وتغلب شهود ، وفي الدعوى يمين وشاهد
 لقد كنت أرجو في جنابك عالمة يموت لها غيظاً غيور وحاسد

(*)-(*)-(*)

وكان الأمير أبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله العيوني هو الذي سقطت
 الدولة على يديه نظراً لضعف شخصيته وحسن ظنه بالناس كما كان كثير الاعتماد على غيره
 فقتل وعانف القوم ، وابتعد أفراد عشيرته مما كان سبباً في هدم صرح الدولة العيونية ،
 فقال ابن المقرب يمتب ويتوجع على ما أصاب أهل بيته على يد هذا الأمير فقال :^(١)

بعض الذي نالنا يد هريكينا فامن وأودعها يد أفينا

ومنها :

ان كان شأنك ارضاء المدوبنا فدون هذا يرضى معادينا
 الحمد لله حمدا لا نفاق له ان لم يكن ضعفنا الا بأيدينا

ويقول فيها ايضا :

فما المعادي لنا أولى بهففتنا من ابن عمدي الايام يوءنا
 أعزز على (ابن علي) والكارم من آباءنا ان يسيم الضيمواينا
 نال المعاند منا ما يحاوله سرا وجهرا وتعريضا وتعينا
 رامت ذروا امرنا اطفاء جمرتنا فعندنا الحقوا الاحساء بييرينا

وقيل انه دخل على الأمير وانشده اياها وعاتبه عتاباً مرّاً ، ولكنه انكر أن يكون سبباً في شيء
 من ذلك فقال له فعلتها غير متعمد بل خدعة من الجلساء وانصرف غاضباً ، وهي انه رضى
 بشروط اخذها عليه الثوار من الأعراب وذلك بمشورة جلسائه الذين يكيدون للدولة الخفاء .

==.==.

(١) ديوان الشاعر ص ٦١٠ ،

(٢) يعني عبد الله بن علي مؤسس دولة العيونييين .

الرثاء

ساهم شاعرنا في غرض الرثاء ، بقصائد عديدة ، والرثاء - بطبيعة الحال - يقوله الشاعر لا لطلب الجزاء ، عليه أو المكسب من وراءه وإنما هو وفاة من الشاعر لمن تحترمه يد المنون من أَعزائه وأقربائه أو أصدقائه وذلك في ذكر مزايا الفقيه وتنويعها بخصاله الحميدة من كرم ووفاء وشجاعة وكل ما يضافي عليه الجلال والذكر الحسن ، وشعر ابن المقرب في غرض الرثاء يحكي حالته النفسية في صدق الشعور بالمصيبة ، وهو يحكي كمدا وأسى عميقين في نفسه ، ويصور تأثره وعاطفته في ذلك . وقد رثى ابن المقرب كل عزيز افتقده في حياته سواء من أبناء عمومته أو غيرهم من عظماء الرجال والعلماء الذين عرفهم ومنهم الامير أبي علي محمد الحسين بن محمد بن علي ، والرئيس الحسن بن عبد الله بن احمد ، والقاضي محمد بن ابراهيم المستورى ، وابن عمه الادنى المذكور بن عبد الله بن منصور بن مقرب .

ومن رثائه للامير ابي علي محمد بن الحسين ، وقد توفى في القطيف بأرض

المزار قوله :

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| ولا بُدَّ لي من وقفة قبل رحلي | أذيل بها دمعى فينهل وأبله |
| على جدت أضحى به المجد ثاويا | بحيث ترى شط المزار مقابله |
| لأسأل ذاك القبر هل غير البلاء | محاسن مجد غيبتها جنادله |
| وهل همم الموتى بأشعاء غارة | يثار بها من كل جو قساطله |
| فقد نامت الأحياء عن المزمز ستوى | بكل سبيل أسده وخياطله |
| فيا عجباً من ملحد ضم فيلقا | وطودا ومهرا يركب المزن عاقله |
| مضطجاً هرا لا خلاق والخيم لم يمل | الى سفه يوما ولا خاب آمله |
| فيالك من مجد تداعت فروعه | ومال ذراه وانقمرت أسافلـه |
| لمبك الحلا والمجد والباس والندا | لقد صل واديتها وجفت مسالـه |
| وتند به البيض الضوارم والقنا | لما انهلتها كفه واناملـه |
| لقد منيت فيه الا عادي بئائر | همام ابى أن يحمل الضيم كاهـله |

وفي هذه القصيدة نلمس مدى تأثر الشاعر بالفجيعة ، واندماجه مع غرضه ، وصدق شعوره ، ولقد بدأ التأثر واضحاً وجلياً في تعبيره ومعانيه .

ولقد رثى أحد أصدقائه وهو العالم والقاضي محمد بن إبراهيم المستورى

بقصيدة تتكون من ثلاثين بيتا قال فيها :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ابعد ابن إبراهيم ياد هر بيتفي | اليك خلوداً وترجى صنائع |
| تعست لقد علمتنا بعده البكا | وعرفتنا بالكل ما الحزن صانع |
| فتى كان برا بالعشيرة راحمنا | روءى وفا بها لا تزدهيه المطامع |
| ولم تله في محفل من نديهم | يشارى على ماساءها ويبيع |
| ولو شاء جازى بالعقوبة قدره | ولكن له من خشية الله رادع |
| يصيد عن العوراء حتى كأنمنا | به صم عما يقول المقاذع |
| كريم الشنا تأبى الدنية نفسه | همام لا بواب الحوادث قارع |
| له حكم مأثورة حين تلتقي | بآرائها عند الملوك الجامع |
| يقول فلا يحطى إذا ما تأخرت | عن القول سادات الرجال الصانع |
| جميل السجايا كلما زاد رفعة | تواضع حتى قيل ما ذا التواضع ؟ |
| سواء علمه في القضية من دنت | به الرحم القربى ومن هو شاسع |
| نشأ من لهدر ما الجهل والخنا | وساد بنى أيامه وهو يافع |

ومضى ابن المقرب في هذه القصيدة يعدد فيها مزايا الفقيه القاضي ، وفي

نهايتها يختتمها معزيا أخا الفقيه بقوله :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| تعز فكل سالك لسبيلهم | وكل امرئ من خشية الموت جازع |
| ونحن سواء في المصاب وإن نأى | بنا الدار فالأرحام منا حوامع |
| ولا شك منا في التأسى وأنمنا | نعزيك إذ جاءت بذاك الشرائع |

فابن المقرب صادق الرثاء ، ويمكن للقارى أن يلمس هذا التأثر من خلال قراءته للابيات

ولذلك كان وفيا حميما لأصدقائه وأقاربه .

غرض الحكمة :

الحكمة كما قيل وليدة التجربة ، وقد عرف الادب العربي كثيرا من شعراء الحكمة البارزين كابى الطيب المتنبى وابى تمام وغيرهم وقد قال احد النقاد فى ذلك :
أبو تمام والمتنبى حكيمان والشاعر البحترى ولو كان حظ شاعرنا من الشهرة كبيرا
لاعتبر أحد المبرزين فيها فهو بحق شاعر الحكمة ورافع لوائها فى هذه الحقبة التى
أفقرت فيها سماء الشعر العربى .
وشاعرنا قريب الشبه جدا بفحل شعراء العربيه أبى الطيب المتنبى من حيث حياته
أولا ومعاكسة الايام له ومن حيث طابع حكمته ثانيا واستقائها من تجاربه الشخصية
وعلوها بالذهن .

وفى الامكان ان نعزو هذه الحكمة الى ثقافته الواسعة واطلاعه على شعر فحول الشعراء
المتقدمين له ، ولكن المعين الاكبر كان فى تجاربه الشخصية يستقيها مما مر به ورآه فى
عصر مضطرب يمحى بالفتن ويمتلئ بالخلافات . وفى حكم ابن المقرب نلاحظ أول ما نلاحظ ،
الجدّة والحيوية مما جعلها عالقة بالذهن ، مؤثرة فى النفوس وهى تأتى عادة فى مطالع
قصائده وفى أثنائها ملاحمة مع اجزاء القصيدة كأنها من صميم الموضوع : فاذ أضفت
الى ذلك الهزة الشعرية التى تخفق فى حكمه عرفت لماذا بقيت حية فى الذاكرة فهى
ممزوجة بمشاعر النفس الانسانية بعيدة عن الجفاف الذى نلمسه فى الحكم عادة .
وحكم ابن المقرب صورة عن نفسه وظروف حياته ومثله فى الحياة ووضح ما فيها تشاؤمه
من الحياة الذى يمكن رده الى خيبة أمله ومعاكسة الظروف له حتى كان من قوليه :
من سالم الناس لم تسلم مقاتله
لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع
وذ والنباهة لا يرضى بمنقصه
وذ والدناءة لو مزقت جلدته
ومن رأى الضيم عارا لم تربيه
منهم ومن عاث فيهم بالاذى سلما
اذ ارأى الشريفي قدره وجمما
لولم يجد غير اطراف القناعصما
بشفرة الضيم لم يحسن لها الما
شرارة فيه الا خالها أطمما (٢)

(١) ديوان الشاعر تحقيق الخلو ص ٢٥٦ من قصيدة تبلغ مائة وخمسين بيتا قالها يفتخر

بآبائه وأمله ويذكر طرفا من أيامهم وفضائلهم ومطلعها :

قم فاشد العيس للترحال معتزما وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما

(٢) الاطم : الحصن —

وكل مجد اذا لم يبين محتده بالبأس نقره الأعداء فانهد ما
لا يضبط الأمر من في عوده خور ليس البغات يساوى اجد لا قطما (١)

ومن خلال هذه الأبيات نجد أن ابن المقرب يحكي تجاربه مع الناس والحياة فهو كما
أوضح في البيت الاول لا يؤمن بسياسة اللين والمسالمة، وإنما يؤمن بسياسة القوة والثورة
والعنف ومبادرة الآخرين بالاذى والظلم، لأن ذلك هو الطريق للعيش في هذه
الحياة، وكلُّ مجد لا يقوم على قوة البأس واليد سيكون سهل الانهيار وسريعه .
كما أنه يرى أن الصبر على الهوان والسكوت عليه جبنًا يزرى بصاحبه وأنه
من شيم العاجزين الضعفاء، أما الاقوياء فلا يرضون بذلك لا أنفسهم حتى ولو حملهم هذا
الاباء على امتشاق الصوارم والقنا .

ويدون شك ولا ريب ان علاقة شاعرنا بابنا عمه العيونيين يشكل جانباً كبيراً
من هذه التجربة، ولكن حيث ان هذه التجربة مع ابنا عمه فهو لم يستفيد منها ليحقق
غاياته، لأنه رضي بصلة الرحم والقربة بدلاً من قطعها والخروج على أسرته وشقيق
عصا الطاعة عليهم، وهذا بلا شك خلق عظيم يشكر عليه الشاعر ويكفيه ذلك فخراً
أكثر من فخر الحكم الذي صفح عنه لقوله :

ولا يعز الفتى الا بأسرته لو كان في الباس عمرا والندى هرماً (٢)

وانظر اليه يقول مخاطباً قومه ان الناصح لهم قد يحسبونه خائناً لهم وعلى العكس :-
فكم ناصح قد عد في الناس خائناً وكم غادر قد عد في الناس وافيًا
وكذلك ايضا يشير الى أن الحاكم الحازم هو من لا يأخذ بمشورة النساء أو زعانف
الناس ومحدودي النظر :

واخسر الناس سعياً رب مملكة أطاع في أمره النسوان والخدم (٣)
وكذلك يشير في بعض حكمه الى أن من أشد الذل والجبن أن يسلم الانسان لخصمه
سلاحه ويكل الى عدوه تدبير امره حيث يقول :

(١) الخور: الضعف، اللبغا: ضعاف الطير، الاجدل: الصقر، القطم: مشتبه
اللحم.

(٣)، (٤) من نفس القصيدة الاولى الميمية، ويقصد بعمر وعمر بن معدى يكره
الزبيدي، ويقصد بهرم: ابن سنان .

ومن يعط خصما درعه وحسامه
وشابغه فليبس الذل مشملا
ومن قلد الاعداء تدبير امره
فذاك الذي يدعى العديم الشكلا (١)

وانظر اليه يقول :

أرى الناس مذ كانوا عبيدا لفاشم
وخصما لمفلوب وجندا لفالسب (٢)

وكذلك يقول :

لا خير في منزل يشقى الكرام به
ويلحق السيد المتبوع بالتبع
كم لمت قومي لا يل كم أمرتهم
بحسم داء العدا فيهم فلم أطع (٣)

وقوله :

ومن لم يلج بالنفس في كل مبهم
يعيش عرضا للذل عيش البهائم (٤)
ومن لم يقدها ضامرات الى المدى
تقد نغمه عوج البرى والشكائم (٥)

وقال من قصيدة له يعاتب فيها الامير فضل بن محمد ويوجه فيها اللوم عليه لا جل
جفائه ، وقطيعته لرحمه .

از اخانك الادنى الذى أنت حزبه فلاعجا ان اسلمتك الأبعاد (٦)

فلقد لاحظنا في أبيات الشاعر أن هذا التشاؤم الذى منى به يدفعه الى التجلد
والقوة والشبات أمام صروف الدهر ، ولم يدفعه الى الضعف والزهد والعزلة كما فعل
يا بين الرومي وغيره .

ومهما كان شاعرنا مسبوقا الى بعض المعاني الا أنه يكفيه فخرا هذا المجهود الفني
تجاه حبيكها واحكام صوغها ، واطهارها في هذا المعرض الذى استهوى الافئدة
وخفق بالقلوب . وهذا المجهود بلا شك يستحق عليه الثناء فجزاه الله عن الشعر
المربي خير الجزاء .

-
- (١) ديوان الشاعر ص ٣٦٩ . (٢) المرجع السابق ص ٦٦
(٣) ديوان الشاعر ص ٢٧٨ . (٤) المرجع السابق ص ٥١٣
(٥) البره كل حلقة تجعل في أنف الناقة والفرس والشكيمه حديده اللجام المعترضة
في فم الفرس (٦) انظر ديوان الشاعر ص ١٤٠ .

غرض الهجاء :

ساهم ابن مقرب الميوني في هذا الغرض من الشعر ، وهو ليس بغريب في عالم الشعراء حتى المعتدلين منهم فقد طرخوا الهجاء ، ولكنهم يختلفون من حيث صيغة الهجاء فمنهم من يهجو ولكن في حدود اللياقة المعقولة ، ومنهم من يسفون في الهجاء ايما اسفاف ولا يتحرجون في ذكر ابشع الالفاظ ولعل شاعرنا ينطبق عليه الوصف الأخير ، ولكنه مع ذلك قليل الهجاء جدا ، ان لم يهج في حياته سوى شخصين هم (ابن الدبتي) عامل واسط - وهو عميد الدين ابوالعباس أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد - عرف بخصال سيئة نفرت منها نفس ابن المقرب . وابن المقرب في هجائه لابن الدبتي قد اسف ايما اسفاف فلم يتورع من ايراد بعض المبارات المفعلة والا لفاظ النابية ، مما يجعل الشخص في حيرة من ذكرها لولا ايراد الحقيقة الادبية المحضة فقال يهجو ابن الدبتي بقوله :

| | | |
|-------|--------------------------|--------------------------|
| (١) | ودع المرور بها الى الحشر | بُع واسطاً بالنأى والهجر |
| | شابت مفارقها على الكفر | ارض يدبها ابن صائفة |
| | تمرر لها موسى على بظر | قلفاء من نبط البطائح لم |
| | متعثكل يوفى على الشبر | تلقى الأيور بمنيل خشن |
| | فجميع ما ولدت من الدير | قد سدوا سع قبلها عظم |
| | رمت المحال ففصت في بحر | يابن الدبتي اللعين لقد |

فهجاء هذا بحق أحط هجاء يمكن الوصول اليه ، فهو يبعث على البشاعة والتقزز ، والقلم كما قلت في حيرة من ذكره لولا مناشدة الحقيقة الأدبية .

كما انه بالاضافة الى وصف امه بهذه الاوصاف فقد سخر منه اشد السخرية حيث قال في القصيدة نفسها .

| | |
|------------------------|--------------------------|
| من بوله في ناطف تجرى | لك لحية كالتيس مبرحست |
| عناء تعرف أول الطهر | وبها اذا ساضت خليلتك الر |
| زاكي الأرومة طيب البحر | ولسوف يحلقها أخو كرم |
| بيتا يحصنها من الظهر | وهي التي غرتك فأبغ لها |

واجمع حواليتها لينفعها
فلقد أتاه ما ستركها
ما استطعت من مستحكم الجمر
مرداء خالية من الشعر
لك يا لثيم ونحن لا ندري
فلمعل ذلك فيه مصلحة

()=()=()

(١) وقال فيه قصيدته الثانية التي مطلعها :

قالوا الدبيثي ذوقوا في
فقلت بعدا لكم وسحقا
محكمة النظم مستقيمة
أكل افهامكم سقيمة
شعر الدبيثي لو عقلتم
ابرء من امه اللثيمة
هو الذي تعلمون كليب
فهل لنبح الكلاب قيمة

()=()=()

وقصيدته الثانية من قصائد الهجاء لا تتجاوز البيتين قالها في حاكم الموصل وهو بدر الدين لوئل ، علما أن شاعرنا قد قطع أشواطاً في اطرائه ، وتعداد ا مجاده ، وافضاله ، بل وطلب منه العون والرفد صراحة في بعض أبياته مع ما هو معروف عن الشاعر من شيمة النفس والترفع عن طلب أى رfd ، وذلك غريب من الشاعر جدا وما يؤخذ عليه ، ولكن ورد في ديوانه أنه قد طلب منه ذلك اما على سبيل المداعبة أو غيرها ، أما القصيدة فهي قوله :

تسلط بالحدباء عبد بلوئل
بصير بلى عن نبيل مكرمة عمي
اذا أيقضته لفظه عريضة
الى المجد قالت أرمنيته نم (٢)

وعلى أى حال فاشعار ابن المقرب في غرض الهجاء قليلة جدا بالنسبة لديوانه ، ان لم تتعدى ثلاث قصائد فقط هي ما اوردها ، اثنتان في ابن الدبيثي وواحدة في بدر الدين حاكم الموصل .

= =

(١) ديوان الشاعر ص . ه . ه وهي تبلغ واحد واربعين بيتا .

(٢) ديوان الشاعر ص . ه . ه .

الشوق والحنين :

الشوق والحنين الى الأهل والرفاق والأوطان والمنازل ومرايح الصبا
وأيام اللهو والشباب من الأغراض التي شاعت في شعر شاعرنا ابن المقرب
وخاصة في القصائد التي نظمها وهو بعيداً عن دياره في ديار الغربة .

والقارى لديوانه يجد أن هذا اللون من الشعر تفيض به نفس الشاعر
وتطبعه بطابعها فيحس فيه مرارة الألم وحرارة الاشتياق ، وقد طأوه في ذلك
ابداً في التعبير عما يجيش بنفسه من خواطر وخلجات فانظر اليه وقد
سمع هديل حمامة ، وهو يعبر نهر دجلة ، فاهاج صوته في فؤاده لواعج
الشوق والفراق الى الاحبة والاهل والأوطان فقال (١) :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| صبا شوقاً فصنَّ الى الديار | ونازعه الهوى ثوب الوقار |
| وهاج له الغرام غداً ورق | هواتف في غصون من نضار |
| صدَّ حنَّ غديَّ فتركن قلبي | وكان الطود كالشيء الضمار |
| رويدا يا حمام بمستهمام | مشوق منه طول السفار |
| براه الشوق برى القدح جدا | ففادره بقلب مستطار |
| فواعبياً لكن تنحن خوف الـ | فراق وما بدت خيل المعار |
| ولم تصدع لكن عصا بيـ | ولم تمبث لكن نوى بعـ |
| وانتن النواعم بين بـ | وهيـ يرف وجلنـ |

ومنها :

فكيف يكن لو نيطت شجونى يكن ونار وجدى وأدكارى

نجدته يصور لوعته وحنينه الى دياره اروع تصوير ، ونحس من ثنايا شعره بحاله
واشتياقه البالغ الى دياره وأهله وأحبته .

ومن حنينه أيضا الى دياره - الجرعاء - بالبحرين وهو بالمـ

تذكر آ سمره بها مع أحبته وذويه حيث قال : (١)

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| يا منزل الحي بالجرعاء لا برحت | تهنى بك الزمن قهلاً عز اليها |
| كم لي بمفتاك من يوم نعمت به | وليلة تعدل الدنيا وما فيها |
| واهماً لها من ليالٍ لوتعود كما | كانت وأي ليالٍ عاد ماضيها ؟ |
| لم أنسها مذ نأت عني ببهجتها | وأين غر من الأيام تنسيها |

ومن قوله متشوقاً الى بلده وقومه وأيام شبابه قوله :

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| يا حبذا وادى الحساء فأنسه | لوسائي وادٍ الي محبب |
| يا حبذا رب السليم وحبيذا | ذاك القطين به وذاك الملعب |
| وعصابة فارقتهم لا عن فلي | مني ولا لي غير والدهم أب |
| وكريهة الطرفين ذروة وائل | آباءها وجدودها ان تنسب |
| شاطرتها شرح الشباب وماؤه | يجرى وجذوة نارة تتلهب |

وغرض الشوق والحنين لدى شاعرنا نجده في ثنايا قصائده فلم يفرد له
غرضاً مستقلاً ، ولكنه يفرد له أبياتا وذلك أحياناً كقصيدة الأولى عند عبوره نهـر
دجلة مع سماع صوت الحمام الذي أهاج شاعريته وحرك أوتار قريحته .

=()=()

(١) الديوان ص ٦٥١

(٢) الديوان ص ٨٥٠

الغزل والنسيب:

لعل انشغال شاعرنا ابن المقرب بشئون الحياة، وصراعه مع الأيام قد أخذ عليه جل تفكيره، فلذلك لم تحتل المرأة في ديوانه إلا حيزاً بسيطاً جداً، فغزله قليل نادر، وهو يأتي في مستهل ومطالع قصائده على عادة معظم متقدمي الشعراء ومنه يخلص إلى الغرض الاساسي .

ولعل همته العليا ومطلبه السامي جعله يترفع بنفسه عن النظر إلى المرأة كما فعل أبو الطيب المتنبي، فلم تستهوى المرأة فؤاده، ولم تحتل منه إلا قليلاً ولا كثيراً. واقتاد ديوان الشاعر لهذا الغرض الجميل والمنصر الفناشي المحبب إلى النفوس - بلا شك - يجعل منه طريقاً طويلاً خالية من محطات الترويح والترفيه عن النفس .

- ولقد ساهم شاعرنا في مطالع إحدى قصائده بقوله: (١)
- (٢) وبيضاً مثل اليدر حسناً وشارة يزين بها السب المزرق والاتب
- (٣) اذا ما نساء الحي رحن فانها لها النظرة الا ولى عليهن واللقب
- تخير فيها رائق الحسن فاغدت وليس لها فيهن شكل ولا تـرب
- بدت سافراً من درب دینار والصبا يرنحها والدل والتيه والمجب (٤)
- رأيتني فابتدت عن أسيل وحجبت بذى معصم جدل يفض به القلب
- وقالت: غريب والفتاة غريبة ولا في نكاح الحل دام ولا نـسب (٥)
- فقلت لها: انى الوف ولي هوى ومالي في بغداد شعب ولا سـرب (٦)
- فقلت: واين السرب والشعب والهوى؟

فقلت: بحيث الكر والطمع والضرب

فقلت: أرى البعيرين دارك والهوى أخاك وهذا ما أرى فمن الشعب

ويستمر ابن المقرب في هذه المحادثة ليخلص فيها إلى تعداد أوصاف قومهم وما خروهم ثم تهتدى مخاطبته اليهم في النهاية حيث قال:

فقلت: لعمري انها لربيعة بناء المعالي لا كلاب ولا كلب

(١) انظر الد يوان ص ٢٧ . (٢) السب المزرق: النمار والعمامة المصفرة، والاتب:

بردا وثوب يوءخذ فيشق في وسطه ثم تلقى المرأة في عنقها من غير حياء.

(٣) المقب: النظرة بعد الذارة (٤) درب دینار: درب معروف في بغداد، وجاء في

بعض النسخ من ضرب دینار (٥) دام: اى عيب:

(٦) الشعب: القبيلة، السرب: المكان والمنزل .

الوصف:

الوصف فرض من اغراض الشعر العربي ومقصد من مقاصد الشعراء الا انه قلما تفرد له قصائد بذاتها عند متقدي شعراء العربية خاصة ولذلك ورد عرضا في ثنايا قصائدهم ، وحظ شاعرنا ابن المقرب من هذا الغرض بسيط جدا وقلما نظفر بوصف متكامل لموضوع ما في شعره . فكل ما هنالك ابیات قليلة وردت ضمن قصائد معدودة من شعره .

وحيث ان الوصف يعتمد اعتمادا كليا على بعد الخيال ودقة التصوير وهذين السببين مما لم يتوافرا في شاعرنا نظرا لانشغاله بشئون حياته المضطربة ، فلم يهدأ له بال ليحدث نفسه في وصف شي من الاشياء ، ان أن الوصف عادة يأتي مع هنا العيش وارتياح الضمير في الحياة والتقلب بين قصور الخلفاء ونعيمهم بعكس ما كان عليه شاعرنا في حياته . وكل ما نظفر به من شعره في الوصف كان نـزرا يسيرا نـعثر عليه في بعض قصائده التي قالها في غرض آخر ، ومن ناحية أخرى لم يكن الوصف عند ابن المقرب في عمومه جيد الحبك محكم التصوير .

وفيما يلي نسوق له نموذجا وهو وصف المطر من قصيدة يمدح فيها الخليفة الحباسي الناصر لدين الله ، جاء في أولها مخاطبته لعرصات الدار ، داعيا لها بالسقيا ، فكان في ذلك مناسبه لان يصف المزن ، وهطول الويل - والحق أنه جاء بارعا أحسن الابداع حيث قال :

(٢) سقاكن من نوء السماكين عارض من المزن ، محلول النطاقين دالح
(٣) ملث يظل الجأب في عنفوانه على النشز وهو السحسح المتمايح

(١) انظر الديوان ص ١٢١ ،

(٢) محلول النطاقين : كناية عن تدفق الماء ، دالح : كثير الماء ، والسماكين : نجمان في السماء ، وهن نوئين من انواء الوسم وهو نزول المطر .

(٣) الملت من المطر : الدائم ، الجأب : الحمار الغليظ ، وعنفوانه : تهاطله بشدة ، النشز : المكان المرتفع ، السحسح : الشديد من المطر ، التمايح : التمايل .

كسترعف احدى ودنح بعد ما غدا طلقا واستبدته المطاوح^١
وتسي الرعان القود فيه كأنه يعاليل في آذى بحر طوافح^٢

الا أن هذه الأبيات تكتنفها بعض الكلمات الغريبة التي تحتاج الى رجوع الى القاموس.
ومن وصف ابن المقرب للخمرة في احدى قصائده التي مدح بها امير البصرة شمس
الدين باتكين ، قال : (٣)

| | |
|-----------------------------|---|
| قم فأسقينها قبل صوت الحمام | كرمية تجمع شمل الكرام |
| صهباء ما عتقت بأسا | مزاجها الآري وماء الفمام ^٤ |
| ما أدبر الكأس منها على | كسرى ونمرود بن كوش بن حمام ^٥ |
| لو احتساها ابن الزبير اغتدى | أكرم من كعب واوس بن لام |
| تذهب باليأس وتدنى المني | وتنشر اللهو وتطوى الفرام |
| أوداها المنزوف ضربا لما | هاب ابن ذى الجدين يوم الزحام |



وعلى العموم ففرض الوصف لدى ابن المقرب ضحل جدا ولم يطرقة كما طرقة بعض
الشعراء الذين اشتهروا به كشعراء الاندلس وابو الطيب في وصف المعارك والبحرى
في بعض أوصافه .

(١) المسترعف من الخيل : السابق منها ، واغذى التراب : حثاه ، واستبدته : فاجأته
المقازف : وهي المهادك .

(٢) الرعن : خشم يتقدم الجبل : وهو ايضا موضع بالبحرين
واليحلول : الحباب وتفاخت الماء ، آذى البحر : موجه .
(٣) الديوان ص ٥٧٨ . (٤) الارى : الحسل .

(٥) نمرود : هو صاحب القصة مع ابراهيم عليه السلام .
(٦) المتزوف ضربا : رجل مشهور بالجبن ، وابن ذى الجدين هو قيس بن مسعود بن
خالد رجل شجاع .

المداعبة والمزاح :

لقد كان شاعرنا ابن المقرب خفيف الظل والروح كثير المداعبات مع أصحابه وأصدقائه الذين تجمعهم به مجالس الأضواء والطرب، وخاصة في أيام شبابه الأولى التي قضاها مع أصدقائه في أرض اليمامة فقد روى عنه أنه كان جالسا مع جماعة من أصحابه، وفيهم رجل يشتكي وجعا في رأسه، وحصى مطبقة عليه، فطلبوا منه رفاقه أن يكتب لذلك الرجل بعض التعاويذ ليعلقها على نفسه ويتبارك بها - وهي مشهورة في الزمن الأول - لعلى الله أن يشفيه ببركات ما فيها من الأسماء والآيات، وذلك الرجل أيضا ما يعرف بالمداعبة والمزاح، وخففة الروح فعلم ابن المقرب بمقصود أصدقائه فقال : ائتوني بدواة وبياض فأتوه بهما ، فأخذ ذلك عنهم ناحية، وكتب هذه الأبيات، وطواها طي التعاويذ، وشد عليها سلكا ودفعها إليه، وأمره أن يشدها في عنقه، فلما قبضها وأخذ يشدها على عنقه، قال بعض الأصدقاء : لا بد أن نعرف ما في هذه التعويذة لتحفظه وينتفع به الناس، وكلهم يظنون أن المكتوب ليس شعرا، فحلوا السلك ونشروا الرقعة، فاذا هذه الأبيات مكتوبة فيها : (١)

| | |
|--|---|
| أَتَاكَ شَيْخٌ مِنْ أَضَلِّ الْأَنْسَامِ | يَا مَالِكَ الْخَيْرِ عَلَيْكَ السَّلَامُ |
| أَبْوَابُهَا وَانْمَعِلْهُ بِالْقِيَامِ | فَاجِجِ النَّارَ، وَافْتَحِي لَهَا |
| أَبْلِسْ بِمَشْيِ حَافِيَا فِي فُتَامِ | وَاجْعِلْهُ بِالتَّابُوتِ مِنْ خَلْفِهِ |
| بَيْتًا وَزِينَةً بِغَسَّاسِينَ وَلَا مِ | وَقُلْ لَهُ يَخْتَارُ فِي جَوْفِهِ |
| عَقَارِبُهَا كَالْبَخْتِ أَوْ كَالنَّعَامِ | وَزَفْهِ تَرْقُصُ مِنْ حَوْلِهِ |
| فَهُوَ لِمَنْ سَنَّ الْمَعَاصِيَ أَمَامِ | وَقُلْ لِأَهْلِ النَّارِ حَفُوا بِهِ |
| مَنْ الْمَدَى يَا مَالِكَا أَلْفِ عَامِ | حَتَّى إِذَا اكْمَلْتَ فِي قَعْرِهَا |
| مِنْهَا إِلَى الْخُلْدِ وَدَارِ السَّلَامِ | فَأَمْرُهُ يَخْرُجُ لَوْ مَكْرَهُهَا |

فمن هذه الأبيات تتضح شخصية ابن المقرب في مداعبته لأصدقائه، وأنه خفيف الظل والروح.

هذه هي الأغراض الشعرية التي استطعنا ان نجد لها في ديوان الشاعر، وقد ضربنا عليها الأمثلة بشيء من شعره ، ومن خلال قرائتي للديوان والتماذج التي اخترتها منه يمكن أن نخرج برأى مجمل في هذا الشعر ، وهو اننا لانجد حرجا اذا ما وضعنا شعر ابن المقرب بقوة الشاعرية وأصالته البيان ، وبُغفامة الاسلوب وجزالة التعبير ، ولا اذا وصفنا ابن مقرب نفسه بأن ثروته اللغوية واسعة سعة لم تنهي لكثير من سبقه من الشعراء ، وبأنه واسع الافق في الثقافة الإسلامية ، بالإضافة الى احاطته بجوانب جمّة من التاريخ ، ولا سيما فيما يتعلق منه بشرق الجزيرة العربية ، وسواحل الخليج العربي فقد جاء شعره سجلا لتاريخ البحرين والدولة العيونية بالذات .

=()=()

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة فى شعره

الحرمان الذى منى به فى حياته :

عرفنا فيما تقدم من الحديث الشئ الكثير عن حياة شاعرنا ابن المقرب، وما منى به من جفاء أبناء عمه، ومن تكالب الوشاة والحاسدين ضده ووقوفهم فى وجهه، ودون تحقيق مطامحه وآماله وافق ذلك رغبة من أبناء عمه فاصبحت حياته جحيماً لا يطاق، وضائق به الأرض بما رحبت مما كان سبباً فى دفعه الى كثرة الرحلات لعله يجد متنفساً يفيض فيه آلامه وآماله، والحرمان الذى منى به ابن المقرب هو الذى دفعه الى ارسال هذه الانات والشكايات من زمانه وأهله.

فهذه الناحية البارزة لا يستطيع أى باحث فى حياة ابن مقرب وشعره أن يغفلها أو يتناساها بأى حال من الأحوال، تلك هى اثر حياة المنع والحرمان فى تكييف شاعريته، وهذا الاثر فى الحقيقة اثر عميق المدى، بعيد الغور، واضح المعالم بين السمع والبالغين لشعر ابن المقرب لا يكاد يقرأ قصيدة واحدة من قصائده فى أى غرض من اغراض شعره دون أن يشم منها رائحة الحرمان، وازاء الدهر التى تتصاعد من بين حروفها وخلال كلماتها، والحرمان دائماً يعتبر من اهم اسباب تدفق الشاعرية، ولعل له الفضل الاول فى قدح زناد شاعريه قيس بن الملوح، وابوفراس الحمدانى من فحول الشعراء الاوائل، وكذلك شاعرنا على بن المقرب العيونى، فهو بحق يعتبر أهم عامل يلهب المشاعر ويغذى العواطف، وينطق الألسنة بلغة الحياة الصريحة، ولقد نال شاعرنا من الحرمان فى حياته ما ناله، فأكتوى من حر لظاه وعانى من قسوته وويلاته فاستمع اليه يقول فى مطلع إحدى قصائده يصف صراعه مع الحرمان :

والى م فى دار الهوان شوائى

والضيم غير حشاشة وذم

وهم بأحسن منظر وروا .

كم أرجع الزفرات فى أحشائى

لم يبق منى فى مسورة الذرى

فى دار قوم لورآهم مالىك

لرثى لاهل النار كيف يراهم وهم لهم فيها من القرناء
شكلتهم الاعداء ان حياتهم غم الصديق وفرحة الاعداء
أموالهم لذوى العداوة نهبه وعن المكارم في يد الجوزاء

ويمضي في القصيدة على هذا النمط والسياق حتى تبلغ به الحسرة مبلغها
فيفلظها صرخات مدوية، وأنان موجعة، ناديه مستنجدة حيث يقول :

يا للرجال الافتى ذو نجده يحيى بمنصله على العليا
يا لله اقسم لو دعوت بندبتي حيا للبي دعوتى وندائي
لكني ناديت موتي لم تزل اشباحهم تمشي مع الاحياء
ألفوا الهوان فلوتناي عنهم لسعوا البقيته الى صنعا (١)

هذا اللون من الحرمان يعتبر عامًّا شعْر به ابن المرب نحو بلده وهو تقلص ظل
العصا مبين من البلد ، الذين لا يصبرون على الاذى ولا يخضعون للاعداء ، وكم
هي نعمة كبرى لتوفر العصاميون الذين يقدرّون المسؤولية والواجب فيعطوا الحياة
حقها .

وفي سبيل المصلحة العامة أرجع شاعرنا الزفرات تتلو بعضها ، فتار عليه ابنا
عمه ثورة صورها الشاعر صور شتى ، وعدّها في نفسه بعدة اعتبارات ، الامر الذى
زاد من شجونه وعجل برحيله عن أرض الوطن ليبقى بعيدا عن مراحل الكاشحين وهي
تغلى ، وقلوب العاسدين وهي تغور ، فكسان تضاعف حرمان الشاعر واضحا أكثر
تعسا ونكدا عن ذى قبل ، وحقا ان لديه المبرر للرحيل عن هجر البركانيه : فاستمع
اليه يقول :

يا صاح : قد ازف الرحيل فقربا للسير كل شملة وجنبا
ما عذر حر في المقام ببلدة آساده ضرب من المعزاة
لا بالرجال ولا الجواميس اقتدوا - عد موالحياة - ولا بطير الماء
فالبراوسع والمناهل حجة والبعد مقرب على الانضاء
وبجانب الزوراء لى مستوطن - ان شئت - او بالموصل للهدباء
في حيث لالقى الحسود مكاشحا تغلى مراجله على الخلطاء
وبحيث اخوان الصفاء يضمها حسن الوفاء وشيمة الادباء

() = ()

ونراه يفصح اكثر في قصيدته الاخرى حينما يشرح مكانته من قومه وسبب
رحلته في الحقيقة حيث يقول :

وان انفرادى عنهم وتغربي
لغير اختيار كان مني ولا قلبي
ولكنها الايام تبعد تارة
وانى حفي عنهم ومساءل

ويقول منها :

ولي فيهم سيف متى ما انتضيت
على ان حد السيف قد رجمنا
على الدمار اضحى وهو من خيفه كلب
وقل وهذا لا يقل ولا ينسب (١)

هكذا يتصارع الحرمان في نفسه مع العاطفة، فيسلم أخيراً الشاعر المقود الى
ابن عمه، سليل الدوحة العيونية، حبا في كم الشمل ووأد الأحن، فلقد فضّل
ان يعيش بحرمانه وجحيمة على أن ينازع الارحام، ويخاصم العشيرة، وأنه لا اعتراف
ووفاء ليس بعده وفاء لحق القرابة.

فلقد ذاق من ظلم قرابته ومعاكستهم له، فاكتفى في مناعضته لهم بالعتب
الرقيق، والنصح الهادى، وعند ما رأى ان لا فائدة ترجى، هجر سقط رأسه، ومربع
صباه ضاربا في أرض الله. وهكذا فضل ترابط الاسرة والتنامي على اراقة الدماء
فيما بينها امام المطامح الفردية، فكان موقفه هذا مثالا رائعا لتلاحم الوحدة العائلية
والصفاة عليها.

أما عن حرمانه في عالم الصداقة، فقد منى شاعرنا بفتنة من ذوي النفوس الصغيرة،
والصداقات الرخيصة، فملته طيبة قلبه على الاخلاص لهم، واصفاء المودة لهم... ولم
يعرف انه في يوم من الايام ستكشفه الحياة له هؤلاء، صغار في عقولهم وافكارهم
لا يعرفون من الصداقة الا انها جسرا لمطامعهم الخاصة، واشباع لرغباتهم فسي
الحياة، ولكن سرعان ما ظهر ما كانوا على حقيقتهم وانقشع ذلك الستار المستعار الذي
حاولوا ان يلبسوه هذه الصداقة، فاستمع اليه وقد خصهم بقوله :

ولقد جلبت الدمار شطرا بابـه
فاذا مودة كل من اصفيتـه
وعرفت ما تبدي وما يتغيـب
وودى لدى الحاجات برق خلب (٢)

(١) ديوان الشاعر ص ٣١

(٢) ديوان الشاعر ص ٨٦

وفيما اعتقد أن هذا اللون من الحرمان الذي مني به شاعرنا ليس بالامر الهين ، ولكنه يولد في الحقيقة الكثير من الخواطر والأحاسيس التي تأخذ جُلَّ وقت المحروم ، وتحمله أيضا الى سوء الظن بالناس عامة وكذا بالزمان أيضا ، كما لمسنا ذلك واضحا لدى شاعرنا .

وكما هو معروف لدينا سابقا ان ابن مقرب من اسرة عريقة الحسب والمجد والسيادة . كما وقد كان لها الفضل الاكبر في تحرير البحرين من نير القرامطة ، وقد توالى على اريكة الحكم عدد غير قليل من افراد هذه الاسرة ، وكان من الممكن أن تنتظم هذه القائمة اسم الامير علي بن المقرب ، فيصبح اميرا للبحرين ، ولكن الحظ رمى به بعيدا عن ذلك فخطته الامارة الى غيره من ابناء عمه ، هؤلاء الذين أوجسوا منه خيفة المطالبه بشيء من الحق في الامارة ، كما زاد الطين بلة والامر تعقيدا ان افسح هؤلاء صدورهم لقليل الوشاة والحاسدين .

وهذا اللون من الحرمان ، اتصل بحياة الشاعر اتصالا وثيقا ، أخذ عليه تفكيره اعواما عديدة ، وهذا بالذات هو ما تهمننا دراسته اكثر من هذا الفصل ، ذلك ان أثره أعمق وأشد من غيره في تكييف شاعريته ، فاستمع اليه يقول عن قرابته :

أطاعت مقالات الاعادى وغرها تملقها في لفظها واختلابها
فانحت على ارحامها بشفارها واوهن عظم الاقربين اصطلابها (١)

=====

فلأسف الشديد ان ابناء عمه عملوا على محاربته ومطاردته فكانت أولى خطواتهم ان صادروا أمواله واملاكه ثم اودعوه اخيرا السجن فلم يجد امامه مندوحة الا ان يضرب في مناكب الأرض وان يترك بلده هجر ساخطا وهو يقول :

لحي الله دهرنا ألجأتني صروفه الى حيث يلغى حق مثلي وبهمل
وعاقب قومي الغر شر عقوبة وخص من ينمى على وعبدل
فلولا هم والله يعلم نالكم لما فاه لي في الناس بالمدح مقول
ولا عبط بالفيحاء رحلي ولا رأيت قروظا هدر الزّوزاء شخّص وأرسل
وقد كان لي من ارث جدي ووالدي غنى فيه للراجي الندى متأمل (٢)

(١) الديوان ص ٤٠

(٢) الديوان ص ٤٢٨

ولقد وصلت به الحال في الخربة فسئل عن سبب عدمه وضياع ماله بينما انه من سلالة
امراء لهم طابعهم الخاص في ذلك الوقت من الشراء والبذخ ورفاه المعيش فعز عليه قول
الحقيقة، خشية أن تلحق السمعة السيئة ببني عمه، ولكنه اضطر امام الاحاح أن يقولها
وما عليه في ذنب :

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| وجاءت القوم افواجا لتسألني | فصادفوا منطقي للفضل عنوانا |
| فان أجمجم واخفي عنهم خبري | حمية، جلبت هو نأ ونقصانا |
| وان اقل كنت ذامال فمزقــــه | صرف من الدهر ما ينفك بلجانا |
| يقال لي كل تفريق له سبب | يجري فاورد علينا الامر والشانا |
| فان اقل : سيدا قومي هما سبب | لذلك لم ار هذا القول احسانا |
| هذا - لعمري - اطاع الكاشحين ولم | يعطف واضفي الى الواشين اذعانا |
| ومن بعد ذهاب المال عن عرض | يقتتر النفس كي ندعوه منانا |
| وجئت هذا ارجي عنده املا | نزرا فصادف اعراها وحرمانا |
| وفي مودته لا قيت كلــــل اذى | واجتبح وفرحي بغضالي وشنانا |
| وكل ذى غصة بالماء يدفعها | فكيف يصنع من بالماء غصانا |
| وما على من يقول الصدق من حرج | وليس تلزمه ذنبا ولا ذامعا (١) |

ابن المقرب في الحقيقة قد عاش حرمانا في المال وعلاقات الود والاصداؤ في حياة
الاستقرار حرمانا احاطه به من شتى جوانب حياته، فقلب الدنيا في وجهه سوادا
بدل ما كانت ترى عيناه الدنيا بمنظار الفأل والابتسام، فلقد اصبحت حياته جحيما
لا يطاق، فانظر اليه وهو يردد في شعره سقوط اعتباره الاجتماعي، ولم يعد يرجى
ولا يخشى، حيث يقول :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| طال لبثي بين مولى خــــاذل | ومعاد وصديق كالمعدادى |
| تمضغ الايام لحمى عبثا | ليس يعد المضغ غبير الزرداد |
| لا هياتي تمتع الجــــار ولا | نائلي يرجى ولا يخشى عنادى (٢) |

~~~~~

وحيث ان الشعر مرآة تظهر على صفحاتها ما يشعر به الانسان وما يجول في مخيلته

(١) الديوان ص ٦٠٦

(٢) الديوان ص ١٧٩

مرهوا جس و خلجات : فان أحاسيس شاعرنا ابن المقرب انعكست على صفحة شعره صوراً فيه صادقة .

وقد ألهمت هذه الأحداث شاعرنا الحكمة ، كما ألهمته غيرها ، فجرت على أسلالت لسانه ، وامتزجت مع سلسبيل قصيده ، وكثيراً ما كان يجمع الحكمتين في بيت واحد .

والحق ان الحكمة عند ما تكون وليدة المنع والحرمان . . تأخذ طابعاً إنسانياً فريداً ، وتعمل الشيء الكثير من المعنى ، كما تكون أقرب بشيء إلى اللصوق في الأذهان . فخذ مثلاً قوله :

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| ان المنية — فاعلم — عند ذى حسب | ولا الدنية هان الامرا وعظما   |
| من سالم الناس لم تسلم مقاتله   | منهم ومن عاث فيهم بالاذى سلما |
| لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع     | اذ ارأس الشعر تغلى قدره وجما  |
| وذو الدنا ة لو مزقت جلد تـه    | بشفرة الضيم لم يحسر لها ألما  |
| ومن رأى الضيم عار لم تمر به    | شرارة منع الا خالها أطما (١)  |

ان هذه الحكم التي نراها تأجج بين احرفها روائج الحرمان هي صدى لما يعتلج في نفس الشاعر من تعس وحرمان ، وألم وحسرة من صروف الدهر ومعاكسة الأيام .

ثم نرى شاعرنا وقد بلغ الحرمان منه مبلغه ، يحدو فيتخذ من النصح والعتاب وسيلة لحل عقد الحرمان من نفسه ، فانظر اليه مخاطباً الامير علي بن ماجد بقوله :

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| اعطف على احياء قومك واحتمل  | ذنب المسيء وكاف بالاحسان   |
| واعمل لما يجي العشيرة واطرح | قول الوشاة وكل شيء فان     |
| واعلم بان النسر يسقط ريشه   | حينما فيقعه عن الطيران (٢) |
| والصعو ينهض وفور جناحه      | حتى يجوز مواكر الغربان (٣) |
| والدوحة القنواء اشين ماترى  | معضودة وتزين بالاغصان      |

انه لقول صادق ، وحقيقة لا مراعية فيها ، انه واقعة الذي يعاني فيه ولا شك ولو ان ابناً عمه الذين تواطئوا ضده كانوا عادلين مع انفسهم لما عانى من الحرمان ، ولما ذاق من ويلات الكبت والاضطهاد ، ولذبلت نعمة الحرمان ، واختنقت في شعره ، وخسرت دولته الشعر ديواناً ضخماً اهم سماته الفخر والاعتزاز بالنفس ، والحماسة والتأوه والحرمان ،

(٢) الصعو: طائر أصفر من العصفور .

(١) الديوان ص ٢٧٥ .

(٣) ديوان الشاعر ص ٦٤١ .

والحرمان هو ديوان ابن مقرب الميوني .

نعود لننظر صراعه مع الحياة ، بل صراع كل نفس تواقه الى المعالي فانظر اليه  
في مطلع احدى قصائده : ( ١ )

أَبَتْ نَوْبَ الْأَيَّامِ الْإِتِّحَادِيًّا      فَيَا شَقَوْتِي مَالِيَالِي وَمَالِيَا  
إِذَا قُلْتُ - يَوْمًا - هَانَ مِنْهَا تَعَطَّفَ      رَأَيْتُ رِزَايَاهَا تَسَامَى كَمَا هِيَ  
فَلَيْتَ اخْلَاقِي الَّذِينَ أَدَخَرْتَهُمْ      جَلَاءَ لَهْمِي ، لَا عَلَى وَلَا لِيَا  
وَأَعْجَبَ مَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ أَنْ نِي      أَرَى الْقَوْمَ تَرْمِينِي بِأَيْدِي رِجَالِيَا

ثم نراه يصرف الحديث بعد هذه الابيات الى نفسه فيقول :-

عَلَوَانِّي النَّدْبُ الَّذِي يُكْتَفَى بِهِ      وَبَيْتٌ عَلَاهَا بَيْتٌ عَمِي وَخَالِيَا ( ٢ )  
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَنْ يَقُومُ لِمَجْدِهَا      مَقَامِي وَيُرْعَى مَالَهَا كُنْتُ رَاعِيَا  
لِحُمْرِي لَقَدْ أَرَذْتُ جَوَادًا وَضَعَّضْتُ      عِمَادًا إِذَا مَا الْهَوْلُ أَلْقَى الْمَرَايَا

ويستمر على هذا النمط ، ثم يعود الى قصيدته ويسأل ابنا عمه :

إِلَى مَبْنِي الْأَعْمَامِ نَسَقَى نَطَافِهَا      أَجَا جًا وَيَسْقِي الْفِيرَ عَذْبًا وَصَافِيَا ( ٣ )  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى وَدَانِي لَصَادِقٍ -      عَمَى مَا أَرُءُنَ قَوْمَنَا أَمْ تَعَامِيَا  
هَرَا قَوْا ذَوِي السَّمِ الزَّخَافِ وَأَوَّلَجُوا      بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى الثِّيَابِ الْإِفَاعِيَا

ويستمر في عتبه وتوجعه ، مرسلًا اناته حكما ملوؤها الرجولة والخلق والانسانية ، ثم  
يعود ثانية للفخر بنفسه والحديث عن فضاله . وهكذا تتوزع القصيدة بين الفخر والحكمة .  
ولكن المحور الرئيس للكلام هو دائما ما يعانينا من ابنا عمه من قسوة ومجافات وتحد .  
واننا حينما نتبع قصائده نجد الشيء الكثير من حديثه عن نفسه وعن همته وسمو مكانته  
وجميل سماته وكريم محتده ، وما هذا الحديث عن النفس الا رد فعل لما يعيشه من واقع  
مرير سيء وحرمان عارم مستطير . ولقد غص ديوانه من حديث النفس فاستمع اليه محدثا  
عن نفسه حيث يقول :

( ١ ) ديوان الشاعر ٦٥٧ والقصيدة تبلغ ستين بيتا .

( ٢ ) الندب : السريح في الحوائج .

( ٣ ) النطاف : المياه القليلة .

أ أرض بما يرضى الدنو صارسي  
 حنّام وعزم عزم ندى لبدة ورد  
 سأضي على الأيا عزم ابن حرة  
 يغدى بأبأ الرجال ولا يفدى  
 واني لبدر ريع بالنقص فاستوى  
 كمالا وبحرا يعقب الجزر بالمند  
 فآه لقومي يوم أصبح شاويها  
 على ماجد يحيى مكارمهم بعدى  
 واني في قومي كمرو بن عامر  
 ليالي يقضى في قبائله الأز (٢)  
 ستعلم هند اني خير قومها  
 واني الفتى المرجو للحل والحد  
 وان اياى القوم بأسطها يندى  
 وان ناد الحى ائقها زندي

(( ( ) ( ) ( ) ( ) ))

ويثور شاعرنا ابن المقرب بعزيمته القعساء متحديا كل الطاروف، فانظر مدى الترابط

بين حد يثمن نفسه، وما يعانیه من حرمان وشقاء حيث يقول :

سَيَصِيبُ الدَّهْرَ مِنِّي مَاجِدٌ نَجِيدٌ  
 لود اس عرني أنف الموت لم يرع  
 أ قبل النقص والأبأ منجبة  
 والبيت في المجد ن و رأى ومستمع  
 لا ركن من الا هوال اعظمها  
 هولا وما يحفظ الرحمن لم يضع  
 ولا اكون كمن يسمو وفاي  
 ومنتهى سعيه للرى والشبوع  
 ايد هب الحمر لا يخشى معاند تي  
 وبين جنبي عزم يقتضي همها  
 فلا رعى الله ارضا لا اكون بهما  
 كم عاير الدهر مني صبر مكتهل  
 وكم سقاني من كأس على ظمأ  
 لو ضمها صدر هذا الدهر لم يسع  
 سما لمستكف غيثا لمنتجع  
 ان ليس يوجد صبأ لعود في الجذع  
 امر في الطعم من صاب ومن سلع (٣)

حياة شاعرنا ابن المقرب بحياة يغمرها الحرمان من شتى اطرافها فاذا وصفناه بأنه

" شاعر الحرمان " فلا تكون بذلك قد جاوزنا الحقيقة وانما هي عينها .

- (١) الديوان ص ٣٦ والقصيدة تبلغها يقارب الستين بيتا .  
 (٢) عمر بن عامر بن حارثة الأزدي ، من ملوك التبايعه باليمن كان له تحت سد مأرب حدائق واسعة  
 وقد أهمل شأن السد في ايام فخر بن تفرقتا الأزدي في البلاد ، وكان عمر سبق ان نبه قومه لهذا  
 الخراب ولكن لم يصيخوا له فكانت النتيجة انه دأ السد وتمزق قومه .  
 (٣) ديوان الشاعر ص ٢٧٣ والقصيدة تبلغها يقارب الخمسين بيتا ، والصاب شجر مر، والسلع : شجر  
 مرايض او سم او ضرب من الصبر .

فأشعاره مزيج من دموع البؤس، ومرارة الحرمان، وهي خلاصة تصويريه لواقعه القائم  
الاليم المنكوب، وهذا حافظنا لاطلاق هذا الوصف عليه، وماصرخاته وندوبه وبرمه بالحياة  
والناس الا اثر من آثار هذا الحرمان.

ولقد امضى شاعرنا بقيقعمره دون أن يخرج بطائل ودون ان يتحقق له امانيه، وقد  
بقيت صرخة الحرمان تتردد في صدره حتى آخر رفق، وصحبت هذه الصرخة ايضا صرخه  
التذمر والتحذير لقومه من تقلص النفوذ وتسليم مقاليد الاموال الى غير أهلها. فلقد تنبأ  
الشاعر بقرب زوال الدولة الميمنية، وقد حققت الايام التالية هذا القرب.

هذا واذا لم يكن لنا من بد ~~من~~ ان نلخص حرمان ابن المقرب فاننا لانجد أصدق  
شعير من هذه الابيات التي قالها مخاطباً احد ابنا عمه :

- |     |                              |                             |
|-----|------------------------------|-----------------------------|
| (١) | ولم يرتع القوم الجميم ومالنـ | غير الألاءة مرتعا والحرمل؟  |
| (٢) | ولم الشقائق والتلاع لغيرنا   | ولنا الخطائط قسمن لم يعدل   |
| (٣) | والبارد المذب الزلال لغيرنا  | ونخصّ بالطح الأجاج الأشكل   |
| (٤) | ارحمانا من يوم غيب جدكـ      | في رسمه مقطوع لم توصـ       |
| (٥) | ولم العدوّ يروح قرد زبيـ     | شبعنا ومضى الود كله حوصل    |
| (٦) | لولاك قلت وقلت لكـي امـرو    | ابدا اصون عن الشكاية مقولـي |

=/= /= /= /=

فالحرمان الذي مني به شاعرنا ابن المقرب في حياته ومعابنا عمه يعتبر هو العامل الرئيسي  
الذي كون شاعريته واجبها وصيفها بصبغة التشاؤم الذي نحسه في كل عبارة من عباراته .  
فلانكاد نقرأ لشاعرنا بيتا من ابياته الا ونراه مجللا بهذه الصبغة القاتمة — ان صـح  
التعبير . .

- 
- (١) الجميم: النبات الذي يطول حتى يصير مثل جمّة الشعر، والنبت الذي طال ولم يتم إلا لاءة :  
شجر مر، الحرمل : ايضا شجر مر لا يؤكل وهو دائم الخضرة في الصيف والشتاء .  
(٢) الشقائق : جمع الشقيقة، وهي الفرجة بين العيلىن تنبت المشب، أو لعله اراد الزهور  
المعروفة شقائق النعمان، والتلعه : ما ارتفع من الارض. والحطيطه : الارض لم تمطر بين  
بين مطورتين او التي مطر بعضها .  
(٣) الاشكل : الكدر . (٤) الرسم الخبر . (٥) زبيده : هي زوج الرشيد وام الامين ،  
وكلبة حول : يضرب بها المثل في الجوع .  
(٦) القصيدة في ديوان الشاعر ص ٤٢١ .

الا أن هناك ايضا عوامل اخرى الى جانب هذا العامل اثرت في شعره . الا وهي كثرة تنقلاته ورحلاته واختلاطه بالبادية من جهة والاستقاء منها ، واختلاطه ايضا بالأدباء وخلوسه اليهم في بغداد والبصرة وغيرها ، من جهة اخرى . . وهي معاقل العلم والعلماء والادب والشعراء في ذلك الوقت .

كل هذه الاسباب مجتمعة اثرت التأثير البالغ في شاعريته ابن المقرب فأصبح فريدا دهره ، وشاعر عصره الذي رفع لواء الشعر في هذه المنطقة وفي شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الهجري كما واننا ايضا لانعدو الحقيقة اذا اطلقنا عليه متنبى القرن السابع الهجري ، فهو شبيه من كل جوانب شخصيته وحياته بحياة ابي الطيب المتنبى ، وكذلك في ثورته على الزمن وعلى من حوله من الناس .

ومن اشهر الشعراء المعاصرين له في ذلك الوقت الشاعر العربي الفحل — الابیوردی — الذي شابته في ثورته وفخره بعرويته شاعرنا ابن المقرب .

وقد ذكرهما الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه ٣ الادب في العصر الايوبي — وشبههما ببعض في المنهج الشعري الذي اعتنقه . وهو الطابع الشعري القديم . ( ١ )



### الفصل الثالث

#### خصائص شعره

##### أ ( الخصائص الاسلوبية :

ابن مقرب شاعر يمتاز بالقدرة على التعبير، والتمكن من نواصي الكلام، وهو — بالاضافة الى هاتين الميزتين — ذو شاعرية فياضة جياشه، تسندها قريحة وقادة، وموهبة فذة، ويعضدها ذكاء، والمعنية وطموح وتطلع الى ذرا المجد ولقد برزت عنده هذه المقدرة الشعرية والطاقة التعبيرية في مجالات مختلفة منها : اختياره في شعره ما جزل من اللفظ وفخم من الكلمات وبخاصة في الاغراض الشعرية التي تحتاج الى الجزالة والفخامة كالمدح والفخر والحماسة، فألفاظه الشعرية تذكرنا بألفاظ الشعراء الجاهليين والأمويين وغيرهم من الشعراء الذين عنوا في شعرهم بفخامة الألفاظ وجزالة الكلمات، فالجرد، والعتاق والعقبات، والكلمات ومخلوجه، والقمرات والهبوات ألفاظ قد ارتدت ثياب الفخامة، واكتست بطيلسان الجزالة وذلك في قوله :

والقائد الجرد العتاق الى الوغى يخرجن كالعقبات تحت كماتها  
والطاعن الفرسان كل مريشة مخلوجة، والغيل في لباتها ( ٢ )  
والخائف القمرات حتى ينجلى بحسامه ماثار من هبواتها ( ٣ )

كذلك تتسم ألفاظه بالقوة، والفصاحة، ويعدها عن الابتذال والسوقية، تبدو عليها مسحة يدويه هي اقرب ما تكون الى الفاظ الجاهليين وان كان هذا الاختيار يوقعه أحيانا في ألفاظ غريبة حوشية مثل — الخواشك، والدالك، والدرانك والبوائك، وذلك في قوله :

ونوءى كجذم الحوض غير رسمه  
وجيف الحصى بالموجفات الحواشك ( ٤ )  
غداة تداعى الحي بالبين بعدد  
جلا الصبح اعجاز النجوم الدوالك ( ٥ )

- 
- ( ١ ) الجرد : القصيرة الشعر، والعتاق : الاصيل، والوغى : الحرب وهو في الأصل : جلبة الأصوات واختلاطها، والكامة — جمع كمي وهو الشجاع أو الفارس الكامل السلاح .  
( ٢ ) المخلوجة : الطعنة ذات اليمين والشمال واللبات — جمع اللبة : موضع القلاد من الصدر .  
( ٣ ) القمرات : الشدائد، والهبوات — جمع هبوة وهي الغبرة .  
( ٤ ) النوءى : الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل، الجذم : الأصل، الحواشك : المختلفة أو الشديدة .  
( ٥ ) الدوالك : ذلك النجم غرب أو قارب المقيب،



قطر ، درفس ، قد سري كأنهم

(١) مناكبه جللن وشي الدرانك

وفي الجيرة القادمين لآعن ملالة

(٢) ظباء على تلك الهجان البوائك

وبجانب الغرابة التي يلاحظها دارس ديوانه ، يجد ان الشاعر قد يختار في بعض  
الاحاديث الفاظا تبد ومتنافرة في حروفها ثقيلة على السمع بمجها الذوق مثل : الضبارك ،  
الضكاك والشكاك ، وذلك في قوله :

فمسرودة جد لا تضفون يولهم

على قد القرن الاند الضبارك (٣)

هوام اذا ما هم لم يثن عزمه

(٤) أقاويل ابناء الطغام الضكاك

وحافظ على الذكر الجميل فانما

مخير الفتى احدوثة في الشكاك (٥)

ولكن هذه الالفاظ الغريبة تبد و قليلة اذا ما قسناها بالالفاظ التي تتسم بطابع الوضوح  
والسهولة في شعره .

أما تراكيبه الشعرية فتبد و محكمة النسيج ، متلاحمة السدى ذات رصانة وتماسك  
مبرأة من التعقيد ومن ضعف التأليف الا من بعض هنات هيئات كقوله :

وليس الاك ندعوه ونندب

لما يقابلنا من دهرنا الخطم (٦)

فانه اتى بضمير المخاطب متصلا بعد الا ، وذلك غير جائز على المختار لدى النحاة وعلماء  
اللغة ان يوجبون انفصال الضمير في مثل هذه الحالة . وكجزء الفعل المضارع في آخر  
السطر الاول من البيت الاتي مع انه مجرد من علامات الجزم ، وهو قوله :

(١) القطر : الجمل القوى الضخم ، والدرفس العظيم من الابل ، والقيصري من الابل : العظيم

ايضا ، والوشي : النفس والدرانك : ضرب من الثياب أو البسط .

(٢) البوائك : الابل السمان الفتية الحسنة ، والقصيدة في الديوان ص ٣٠٥ .

(٣) المسروده : الدرع المتداخلة النسيج ، الجد لا : المحكمة ، الضبارك : الاسد الشديد الضخم .

(٤) الصغام ، او فاد الناس ، الضكاك : القصير المكتنز .

(٥) الشكاك : الفرق من الناس اى الجماعات .

(٦) لدراسه ص ٥٦٤ .

نام الفتي وكان قلبك لا يسمن خوف الم ساهرا يتقلب

.....

وتبدو تراكيبه وعباراته الشعرية أحيانا متوازنة الفقر مقسمة تقسيما متماثلا له اثر كبير في احداث تألف نغمي وموسيقى آخاذ كقوله :

فينطق عن صدق ، ويسمع واعيا

(١) ويفهم عن عقل ، فيزهق باطلا

فاننا نرى الى هذه الفقرات التي أحسن الشاعر تقسيمها ، وانظر الى هذه الافعال المضارعة التي يمسك بها عقد التشابه والتماثل فيحدث ذلك التلاؤم الموسيقي الذي يظهر جليا في البيت ، وكقوله :

ومنا عوا ليها ومنا دُرهمها ومنا مواضيها ، وفينا كلامها (٢)

ومما يضاف الى خصائص شعره الاسلوبية طول القصائد بما يدل على اقتدار شعري متمكن ، فالقصيدة الواحدة تقارب مائة بيت أو تزيد كقصيدته الميمية التي مطلعها :

قم فاشدد الحيس للترحال معتزما

وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما (٣)

---

(١) انظر الديوان ص ٣٢٨

(٢) الديوان ص ٤٥٩

(٣) انظر القصيدة بكاملها في الديوان ص ٥٤٦ وهي تبلغها ثلثون خمسين بيتا .

### الخصائص المعنوية

أما معانيه فقد ألبست ثوب السهولة والوضوح فلا معنى يستغلق ، ولا فكره تدق على الفهم ، وهذه ميزه يلاحظها كل من قرأ ديوانه ودرسناه ولعل السبب يعود في ذلك الى ان شاعرنا ( بن المرحب ) قد استلهم الثقافة العربية البدوية القحفة فكان تأثره في معانيه بالشعراء الجاهليين واضحا ، ولم يتسن له ان يطلع على شيء من الفلسفة الاغريقية او الثقافات الاجنبية الاخرى حتى يأتي في شعره بالافكار الفلسفية المستقلة ، والمعاني المنطقية المبهمة ، ولقد سبق أن ألمعنا الى شيء من ذلك حينما ألمعنا بثقافته . الا أن شعره بصفه عامه تتمثل فيه قوة الفكرة وضخامة المعنى وبخاصة في الاغراض التي تتطلب مثل هذه القوة والضخامة كالمدح والفخر والحماسة وما الى ذلك ، فضلا عما اوردها فشعره غني بضرب الامثال وسوق الحكم والنصائح وغرس الفضائل والخصال المحمودة ، وهذا دليل على سمو الغاية التي أراد أن تكون لشعره وأى قصيده تقرأها له فانك لا بد عاثر على مثل أو حكمه أو خصلة طيبة يمجدها ويحس عليها كما أن شعره غني بالاشارات التاريخية وتسجيل الحوادث والوقائع السياسية والعربية التي خاض غمارها واصطلى بنارها ، وشاهدها في عصره فغشعره متنفس له أودع فيه كل تجاربه ومواقفه ومواقفه من الصراعات التي صارت في بعض الاحيان قطب رحاها ومسيرها الاول ، علاوة على أن شعره سجل حافل لبعض العادات والتقاليد والمظاهر الاجتماعية التي يزخر بها عصره ، كما يتضح لنا من قوله في قبيلة هتيم :-

وكيف مقامى بين أوباش قريية اري الرأس فيها من بها كان اسفلا

بنى عم من أمسى كثيرا سوامه ولو كان ادنى من ( هتيم ) وأردلا ( ١ )  
كما نلص في شعر ابن المقرب معرفة بعض انواع اللبس والاكل المستحب وغير المستحبة ففى  
زمنه كقوله من قصيدة له : ( ٢ )

فخير لعمرى من بساتين مرغم على ذى المجارى طلح نجد وشوعها ( ٣ )  
ومن ماء نهر الجوهر به لو صفا ذبابة حسي لا يرجى نبوعها ( ٤ )

( ١ ) ديوان الشاعر ص ٣٦٤ . ( ٢ ) ديوانه ص ٢٥٤

( ٣ ) مرغم : محله بالاحساء

( ٤ ) الجوهرية : عين ماء تروى بساتين الاحساء موجوده بهذا الاسم حتى الآن ، ذبابة البقية من الشيء الحسي : مكان من الارض يستنقع فيه الماء وكلما نزلت دلو جمعت أخرى .

ومن (مروزي) بالقطف ولا لس عبا بواى طيى ونطوعها (١)  
ومن لحم صاف في أوال وكنعد ضاب وجرذان كثير خدوعها (٢)

فشعره من هذه الناحية يحق لنا ان نعتبره وثائق تاريخية وسياسية واجتماعية ١٥٠م في القرنين السادس والسابع الهجريين اى في الفترة التي عاشها وعاش احداها واطلع عليها من كتب ونلمس في شعره أيضا صدق العاطفة والشعور والاحساس ولا عجب فهو نبضة من قلبه ، ورعشة من فؤاده ، ووحي من ضميره ، ودعوة من مآقيه ، وكيف لا يكون كذلك وهو لا يقول الشعر الا عند ما يحس دافعه ، وحينما يحتاج اليه ليوذعه عاطفته الجياشة ومشاعره الثائرة واحاسيسه الفائرة ويعبر من خلاله عن آماله وآلامه وتطلعاته نحو المجد والمستقبل الباسم الوضاح ، كما يتسم شعره باخيلته القصيرة المحدودة ، فهو لا يجنح الى الخيال البعيد ولا يشتط به الوهم ويذهب في عالم بعيد عن الحقيقة ، وكيف يكون كذلك وهو نابع من ارض الواقع الذى عاشه الشاعر ، والحقيقة التي وعى كل ذرة من ذراتها ، وغالبا ما يكون الشعر ذا خيال مجنح مفرق في البعد والوهم اذا ما قصد به مجرد التسلية وتزجية الفراغ الذى يحسه الشاعر ، فيفرق نفسه في متاهات الخيال ، ومغازات الوهم الكاذب ، وما أشبه أخيلته تلك المحدودة المعقولة بأخيلة الشعراء الجاهليين النابعة من البيئة والطبيعة القريبة وما يتقلب فيه الشاعر من ألوان العيش والحياة .

وأكد اقول بعد هذا كله أن الشاعر نسخة من الشعراء الجاهليين والأُمويين ، وشعراء العصر العباسي الاول في الفاظه وتراكيبه ومعانيه واخيلته ، ويعتبر من انجب الشعراء الذين وجدوا في العصر الوسيط في تاريخ الأدب العربي .

(( ))

(١) المروزي : ثياب تنسب الى مرو بخراسان ، والللسى : جنس من الثياب الناعمة ، والنطع : ثوب يصنع من الجلد .  
(٢) اول : جزيرة البحرين حاليا ، والصاف والكنعد : صنفان من السمك الجيد .

## الفصل الرابع

### الدراسات التي كتبت عنه ، وآراء النقاد في شعره

د ديوانه :

لابن المقرب ديوان يضم أكثر ما قاله من الشعر ، وهو لا يقل في ضخامته عن ديوانين أكثر الشعراء البارزين وقد طبع الديوان أربع مرات هي :  
الأولى كانت بمكة المكرمة في أيام العثمانيين سنة ١٣٠٧ هـ ولكن هذه الطبعة قليلانهار ديثة وسقيمة وغير محققة ، ولذا لم تخل من كثير من الأغلط ، ولا يمكن للباحث التعويل عليها والاعتماد وحدها .

وهذه الطبعة هي أولى طبعات الديوان ، وجاءت قصائدها مرتبة على حسب الحروف الهجائية للقوافي ، وقد قام بطبعها على نفقته الشيخ عبدالله بن سعيد باخطه .

أما الطبعة الثانية فقد كانت في الهند بمطبعة (ديرت ساد ) عام ١٣١٠ هـ أي بعد الأولى بثلاث سنوات : وقد قام بجمع قصائدها الشيخ حمد بن خليفة العيوني وهو بهذه التسمية ينتمي إلى العيونيين ولا نعرف ما إذا كان له صلة قرابة بالشاعر أم مجرد تسمية — وقد طبع على نفقة الشيخ عبدالعزيز بن أحمد العويصي ، وقد كانت بخط رئيس المحررين بالهند يومذاك ملا محمود بن الشيخ آدم المقدم الكويني الشافعي ، وترتيب القصائد في هذه الطبعة جاء حسب الحروف الهجائية للقافية أيضا .

وميزة هذه الطبعة أنها مشروحة ، وهذا الشرح قديم لا يعرف صاحبه وخير ما في هذه الطبعة أنها تصدرت الديوان مقدمة مفيدة ألقت بعض الضوء على حياة شاعرنا وأخلاقه . ومكانته الشعرية ، ورحلاته وعلاقاته بحكام عصره . كما اشتمل الشرح الموجود بهذه الطبعة لقصائد الديوان على كثير من الفوائد التاريخية المتعلقة بالبحرين عامة وبال دولة العيونية خاصة .

أما الطبعة الثالثة فقد قام الاستاذ عبدالفتاح محمد الحلو (وهو من مصر وكان مدرسا بمعهد الاحساء العلمي ) بطبع الديوان طباعة حسنة ، وقد بذل في ذلك جهدا ملحوظا ، وقام بتحشيطه ببعض الشروح ، وعمل له مقدمة مناسبة ، ولكنه اعتمد كما يقول الاستاذ عمران الصمران على الشرح المذيل به الديوان المطبوع في الهند اعتمادا واضحا ، كما وأنه استفاد أيضا في المقدمة من النقول ، والمقتطفات التي اختارها استاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر من بعض كتب التراجم عن ابن المقرب

والمنشورة بالعدد الصادر في ٧/٩/١٣٨١ هـ في جريدة (اليامة) السعودية. كما اشار الاستاذ عمران الى أن الاستاذ الحلواضاف الى هذه الطبعة قصائد يشك هو نفسه في نسبتها لابن المقرب ، وكان عريا به أن يتحقق قبل أن يعتمد اضافتها وهي القصيدة التي نسبها الشيعة له وسبق الكلام عليها في معتقده . وعمل الاستاذ الحلوا على العموم بطابعه الديوان ونشره يعتبر عملا جليلا وفيه يستحق عليه الشناء والشكر .

وعلى أى حال فهذا الديوان هو الذى يمكن الاعتماد عليه بعد الطبعة الهندية لدارس شعر ابن المقرب .

واخيرا قام سمو الشيخ علي آل ثاني - حاكم قطر السابق - بطبع ديوان الشاعر على نفقته الخاصة ، وذلك عمل جليل يستحق عليه الشناء والشكر بتشجيعه للعلم والادب وحرصه على نشره ولكن كم تمنينا لو وكل سموه الى نخبة من أهمل العلم والادب بتحقيق الديوان تحقيقا علميا متقنا قبل طبعه .

أما بالنسبة لمخطوطات الديوان الموجودة في العالم فقد أجزها فيما يلي نقلا عن كتاب الاستاذ عمران وهي : (١)

١ - نسخة موجودة بمكتبة البلدية بالاسكندرية بمصر ، وقد تم نسخها سنة ١٢٨٤ هـ .  
٢ - نسخة بالمكتبة الماجدية بمكة ، وهي تطابق النسخة المطبوعة بالهند من بعض الوجوه . وهذه النسخة هي بخط ناصر بن حمد بن لاحق من تلاميذ الشيخ - صالح العتيقي من أهالي مدينة السبعة بنجد - وقد نسخها بن لاحق بالاجازة من شيوخه العتيقي ، وتعتبر هذه النسخة من أتقن نسخ الديوان المخطوطة وقد تم نسخها في رجب ١١٩٤ هـ .

٣ - يوجد في مكتبة الحرم المكي نسخة مخطوطة تضم طائفة من اشعار ابن مقرب .  
٤ - ذكر الدكتور داود الحلبي في (مخطوطات الموصل) صفحة ٤١ أن في مكتبة المدرسة الاسلامية التابعة للنادي العلمي في الموصل نسخة من (ديوان ابن مقرب العبد لي . . . ) .

٥ - نسخة غطية موجودة بدار الكتب المصرية بهي المخطوطات ، وقد كتبها بقلمه امين حسن ابو القاسم وذلك سنة ١٠٦٧ هـ .

- ٦- نسخة خطية ثانية بقسم المخطوطات من دار الكتب المصرية ايضا ، مكتوبة سنة ١٢٨٦ هـ وهي في ( ١٢٥ ) ورقة . وقد كانت هذه النسخة ملك الشاعر الشهير محمود سامي البارودي ، وتعتبر هذه النسخة اكثر شمولاً لشعر ابن مقرب .
- ٧- نسخة خطية ثالثة بقسم المخطوطات من دار الكتب المصرية وكتابتها سنة ١٢٩٣ هـ بقلم خليل الشبكشي .
- ٨- نسخة خطية بالمكتبة الاهلية بمدير ( اسبانيا ) . وهي غير مبنية وتفقد اكثر من شعر الشاعر ،
- ٩- نسخة بدار الكتب الظاهرية بدمشق .
- ١٠- نسخة بمكتبة فيض الله - باسطنبول - بتركيا .
- ١١- نسخة بمكتبة المتحف البريطاني - بلندن .
- ١٢- نسخة بمكتبة برلين .

\* = \* = \* = \*

هذا بالنسبة لديوان الشاعر ، أما بالنسبة لدراسة حياته فلم يرد ذكره الا ماورد منه لماما في بعض كتب التراجم في شكل تعريفات مقتضبة بعضها لا يتجاوز السطرين أو الثلاثة ، ومع ذلك فان هذه التعريفات قد ألقت الضوء على اسم الشاعر ونسبه وولادته ووفاته فقط .

ولعل أول من تناول دراسة حياته وشعره الاستاذ عمران العمران في كتابه حياة ابن مقرب وشعره ، فهي كما ذكر مجموعة مقالات كتبها ورتبها ورواها وجعلها في كتيب عن حياة الشاعر ويعتبر من المراجع التي تفيد الدارس لشخصية شاعرنا ابن مقرب .

ولقد ورد ذكره في بعض الصحف ، منها ما ساقه الشيخ العلامة حمد الجاسر في جريدة اليمامة السعودية في عدد ٧ / ٩ / ٨١ هـ حينما سئل عن ابن مقرب ، فقد أورد في مقاله هذه بعض التراجم التي تحدث أهلها عن ابن المقرب مثل ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان ، وابن نقطة البغدادي الحنبلي في كتابه " المستدرک " الذي استدرک به على كتاب " الأكمال " لابن ماكولا .

وكذلك بن الشعار الموسلي في كتابه ( قلائد الجمان في شعراء الزمان ) المصور بمعهد المخطوطات ، وكذلك أورد مقاله الحافظ المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ في كتابه ( التكملة لوفيات النقلة ) في ذكر وفيات سنة ٦٢٩ هـ وهي السنة التي توفي فيها

شاعرنا ، كما أورد مقاله ابن الخواري البغدادي في كتابه (تلخيص مجمع الاداب) ومقاله الصفدي في كتابه (الوافي) .

وكل هذه المعلومات الموجودة عن شاعرنا في كتب التراجم التي أوردها الشيخ حمد الجاسر في مقالته لاتعد والصفحة الواحدة في كل كتاب ان لم تكن أقل من ذلك .

وقد ورد ذكره في مقاله قدمها درويش المقدادي في مجلة العربي الكويتية في عدد ١ ( ١٧ ) ابريل نيسان سنة ١٩٦٠ م . كما ورد ذكره في مجلة الأديب اللبنانية في عدد ١٩٥٥ م بقلم الاستاذ بجامعة برشلونيه محسن جمال الدين تحت عنوان ديوان ابن المقرب .

وكذلك مقاله الاستاذ محمد عباس القباج في مجلة الأديب ايضا في عدد اكتوبر سنة ١٩٥٥ م وهو تعقيب على مقاله محسن جمال الدين ولقد تناوله بالتعريف الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه الأدب في العصر الايوبي ص ٢٥٤ وقال عنه انه شاعر بدوي وطننا وشعرا ، وكل شعره دعوة للحرب والنضال ، وأقتشاق الحسام ورفع السلاح .

هذه هي جميع الدراسات التي كتبت عن شاعرنا ابن مقرب ، وهي لا تعتبر دراسات بالمعنى الصحيح وانما تعتبر معلومات يمكن بواسطتها التعرف على شخصية هذا الشاعر الذي مني بالشيء الكثير من الغموض ، علما ان المطالع على ديوانه يجد أنه يستحق البحث العميق ، ويدر بالدراسة الوافية ولعلي من خلال هذا البحث قد ساهمت بابرار شخصية فذة من شخصيات ادبنا العربي الذي حمل لسوء الشعر العربي في عصر اقترنت فيه الجزيرة العربية من فحول الشعراء وبهذا يعتبر ابن الطرب شخصية أدبية لم يمثر عليها الا المهتمون بأدب منطقة البحرين نظرا لقلة المراجع التي تكلمت عنه أو ذكرته .

أما بالنسبة الى مقاله النقاد في شعر علي بن المقرب فقد قال عنه أحد معاصريه ، والذين اخذوا عنه بعض شعره ، وهو ابن الشعار الموضلي المتوفي سنة ٦٥٤ هـ في كتابه - قلائد الجمان في شعراء الزمان ، مانصه : ( ... وكان شاعرا مجودا منتجما ، كثير المدح قليل الهجاء ، جيد القول ، متينه قوى اللفظ رصينه ، وهو أحد الشعراء الموصوفين المشاهير في عصرنا المعروفين ، اقر له بالحدق أئمة العراق من ذوي الأدب والعلم ، ومذهبه في الشعر مذهب الشعراء الاقدمين في جزالة الالفاظ واهداع المعاني ) . .



فهذه شهادة من أحد العلماء والمعاصرين الذين سمعوا شعره فابدهوا فيه رأيهم ، وأنه يعتبر بحق من الشعراء المشاهير في تلك الحقبة من الزمن ، كما وأن أئمة العراق من ذوي الأدب والعلم قد اقرؤا لابن المقرب بالحدق والنهاية . ومنهم حامل لواء العربية وامامهم الشيخ العلامة محب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي الحنبلي ، وقد أشار الشاعر الى ذلك في احدي قصائده حيث قال :

وقد تقدمت سبقا من تقدم سني سنا وادرك شاوي فارط الاول  
بذاك قدوة أهل العلم قاطبة ابو البقاء محب الدين يشهد لي  
ولقد اشرنا الى هذه الشهادة في معرض حديثنا عن حظ شاعرنا من المعرفة كدليل على تمكنه من اللغة العربية ومفرداتها .

وقد قال عنه احد المعاصرين له ايضا ومن الذين اجتمعوا به وسمعوا شعره وهو الحافظ المنذرى المتوفي سنة ٦٥٦ في كتابه ( التكملة لوفيات النقلة ) في ذكر وفيات سنة ٦٢٩ هـ ج ٤ . بعد ما ذكر اسمه ، وانه قدم بغداد وحدث بها شيئا من شعره ، ودخل الموصل ومدح ملكها قال عنه مانصه " وكان شاعرا مجيدا مليح الشعر " . وهذه ايضا شهادة علم من اعلام الادب والعلم في ذلك العصر بأنه من الشعراء الموجودين لشعرهم ومليحي الشعر مقبولهم .

واطلالة واحدة في ديوان شاعرنا ابن مقرب كقيلة بان تعطي القارى اعجابا يشعر هذا الشاعر ، وانطبعا كاملا عن حسن شعره وجودته . ولكن ظهوره في هذا العصر الوسيط هو الذي جعل الادباء والمتعلمين الى الادب العربي واحيائه يغفلون الاشادة به ، اضافة الى عزلة هذه المنطقة عن مراكز العلم والادب في العالم العربي .

ولقد قال عنه الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه " الادب في العصر الاربعة " (١) انه يتمثل بأبي الطيب المتنبي في شعره وصورة ومعانيه حيث قال :

وأزعم وضع وأعتزم وأنفع وضروصل وأقطع وقم وأنتقم وأصغح وجد وهب

مقلدا بيت المتنبي المشهور :

أقل أنل أقطع أحمل على سل أعد زدهش بش تفضل أدن سر صل

(١) الادب في العصر الاربعة للدكتور محمد زغلول سلام ص ٢٥٥ .

فهذه المقارنة التي قالها الدكتور سلام شهاده عظيمه لشاعرنا ابن مقرب، حيث قورن شعره بشعر ابي الطيب المتنبي الذي يعتبر في الذروة العليا من شعراء العربية، وهو بحق كبير الشبه الى حد كبير بشعراي الارب في ثورته على الزمان، وهرمس من الايام والا صدقا.

وفي معرض الشابهة بين هذين الشاعرين حددولنا ان نلقي بعض الضوء على الملتقاء من المشابهة بين شعريهما، فانظر الى قول ابن مقرب مادحا تاج الدهن ابراهيم محمد بقوله:

بمعديك لا بك الاسوا\* ولحسادك الثرى لا الشرا\* (١)  
وقول المتنبي مادحا صديقه سيف الدولة:

المجد عوفي، ان عوفيت والكرم\* واللعنك الى اعدائك الالسم  
فالتقارب هنا واضح جدا، واليهتان اعتقد ان صح الاعتقاد انهما متكافئان.  
وهذه القصيدة لابن مقرب كثر فيها الترادف مع بعض معاني قصيدة المتنبي.  
وانظر ايضا الى قول ابن المقرب:

فواأسفا ان مت لم أوط أرضكم\* كئاثب خيل تهتدى بكئاثب (٢)  
وعجز هذا البيت يحاكي في مثله وتعبيره عجز قول المتنبي:  
اذا ماسروا بالجيش خلق قوقهم\* فصائب طير تهتدى بعصائب  
وكقول ابن مقرب:

جود الاكارم اخبار، وجودهمها\* شي تراء، وليس الخمر كالخبر (٣)  
نراه قد تأثر ايضا بالمتنبي في قوله بعد خروجه من مصر غاضبا:  
جود الرجال من الايدى وجودهم\* من اللسان فلا كانوا ولا الجود  
وهذا التأثر جلي واضح.

ويقول ايضا ابن مقرب:  
وما العز الا في صها كل سامح\* وما المال الا في شها كل قاضب (٤)  
ونزل المتنبي:

أعز مكان في الدنيا سرح سامح\* وخير صديق في الزمان كتاب

(١) ديوان الشاعر ص ٢٣.

(٢) ديوان الشاعر ص ٧٢.

(٣) = = ص ٢٤٥.

(٤) = = ص ٦٦.

فالمعنى مترادف في الشطرين الاولين من بيتي ابن مقرب  
والمتنبي .

ويضيق بنا المجال لمتبعنا هذا التشابه عند الشاعرين ولكن الجدير  
بالذكر اننا لانعدو الحقيقة حينما نقول أن شاعرنا ابن المقرب هو صورة  
مطابق للأصل من نفسية وشعر وشخصية ابي الطيب المتنبي ، ولانعدو  
الحقيقة ايضا حينما نطلق على شاعرنا ابن المقرب متنبي القرن السابع  
الهجري .



مختارات من شعره

قال يمدح الأمير محمد بن ماجد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي ،  
وقد ملك الأحساء وهو في غيبته في بغداد سنة ٦٠ هـ ، ونرى في هذه القصيدة  
كيف بدأها متغزلاً على عادة القدماء من الشعراء ، ثم انتقل إلى مدح قومهم  
والافتخار بهم وبأصولهم العالية ، ثم يعرج أيضاً فيشكو من الزمان وكثرة الحساد  
وتواطئهم عليه ، يخلص أخيراً إلى الفخر بنفسه ويختتمها بمدح لاهل بيته ، والقصيدة  
تبلغ ( ٨٢ ) بيتاً بدأها بقوله : \*

|                                 |                                             |
|---------------------------------|---------------------------------------------|
| خذوا عن يمين المنحني أيها الركب | لنسأل ذاك الحي ماصع السرب                   |
| عسى خبر يحيى حشاشة وامسق        | صريع غرام ما يجف له غـرب <sup>(١)</sup>     |
| بأحشائه نار اشتياق شبيهها       | زفير جوى يأبى لها التأني أن تخبو            |
| ألا ليت شعري والحوادث جمّة      | وذا الدهر سيف لا يقام له غضب <sup>(٢)</sup> |
| عن الحي بالجرعاء هل راق بعدنا   | لهم ذلك المرعى ومورد العذب <sup>(٣)</sup>   |
| وهل اينع الوادي الشمالي واكتست  |                                             |

عنا كهل قنصوان حداثته الغلب

|                              |                                             |
|------------------------------|---------------------------------------------|
| وهل بعدنا طاب المقام لمعشر   | بحيث تلاقى ساحة الحي والدرب                 |
| وهل عندهم من لوعة وصباية     | كما عندنا والحب يشقى به الحب                |
| وهل علت بنت المقاول انيني    | بأخرى سواها لا أعيم ولا أصبو                |
| وبهضاء مثل البدر حسنا وشارة  | يزين بها السب المزبرق والاتب <sup>(٤)</sup> |
| إذا مانساء الحي رحن فانهما   | لها النظرة الأولى عليهن والعقب              |
| تحيّر فيهارائق الحسن فاغتيدت | وليس لها فيهن شكل ولا تسرب                  |

هدت سافرا من ضرب دینار والصبا

برفحها والدل والتهيه والعجب

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| رأتني فأبدت عن أسيل وحجبت  | بذي معصم جدل يخص به القلب    |
| وقالت غريب والفتاة غريبة   | ولا في نكاح الحل ذام ولا ذنب |
| فقلت لها اني ألوف ولي هـوى | ومالي في بغداد شعب ولا سرب   |

(١) الغرب: الدمع ، وأعرق في العين يسقى لا ينقطع .

(٢) الغضب: السيف القاطع .

(٣) الجرعاء: محلة بالأحساء .

(٤) السب المزبرق: الخمار والعمامة الصفرة ، والاتب: برد أو ثوب يوحى أخذ فيشق في

وسطه ثم تلقى المرأة في عنقها من غير جيب .

\* ديوان الشاعر تحقيق الحلو ص ٢٦ .

فقلت: وأين الشعب والسرب والهوى  
فقلت بحيث الكر والطعن والضرب

فقلت: أرى البحرين دارك والهوى

بنوك وهذا ما أرى فمن الشـ  
فقلت: سلى حي نزار ويعـ  
وأعظمها خطباً اذا استبهم الخطب  
وأصعبها عزا اذا استرحل الصعب  
وأنهرها طعناً وضرباً ونائلاً  
واقتلها للملك صعر خـ

قديم انتظام الملك والعسكر اللجـ  
فقلت: لعمري انها لربيعـ بنات المعالي لا كلاب ولا كـ

.....

ومضى في هذه القصيدة معددا مفاخر قومه الميوسيين حتى قال:

أولئك قومي حين أدعو وأسرـي ونجني منهم شـ  
وما أنا فيهم بالمهيـ وانـني اذا عدّ فضل فيهم الرجل الضـ  
لى البيت فيهم والساحـة والحـا

وذ والصبر حين الباس والعـول السـ  
وان انفرادى عنهم وتفرـي

ترامى بي الأمواج والعـزن والسـ  
بغير اختيار كان مني ولا قـلى وانهم للـمين والانـف والـقلب  
ولكنها الايام تبعد تـارة وتدني ولا بعدد يدوم ولا قـرب  
واني حفي عنهم ومـائـل

بهم حيث يشـوى السـفر أو ينزل الرـكـ  
وكم قائل لي عد عنهم فـانـه مع الـم النـاض قد يـقـطـع الـرب  
فقلت: رويدا قد صدقت وذلكـم

اذا لم يكن فيه لحامله طـ  
اذا لم أداو العضو الا بـقـطـعه فلا قـصـب يـبقـى لـعمـري ولا قـصـب

- (١) شـارخـة: جمع شـراخ، وهو أعلى الجبل، والغلب: جمع الأغلب، وهو الغليظ العتق.  
(٢) الضرب: الرجل الماضي الندب.  
(٣) الارب: الحاجة.

واني بقومي للضَّنين وانَّني

على بُعد داري والتَّنائى بهم حُدُب

ولي فيهم سيفٌ اذا ما انتَضَيْتُهُ

على الدَّهر أضْحَى وهو من خِيفَةٍ كَلَّـبُ

وَقَلَّ وهذا لا يُقَلَّ ولا يَنْـمُو

يحاولُ أمراً دونه السَّبعة الشَّهب

لِعِزَّتِهِ وانْقَادَتِ الْعُجَمُ وَالْعُرَبُ

وطالت ذُرَى أَغْصَانِهَا وَزَكَّى التَّرَبُ

وَيُقْضَى عَلَيْهِ قَبْلَ يَقْضَى لَهُ نَحْبُ

فأَدْرَكَهَا وَالْمَأْثَرَاتُ لَهُ صَحْبُ

حِجَابٍ وَنُورِ الْبَدْرِ يَسْتَرُهُ الْحُجُبُ

هُوَ النَّصْلُ لَكِنْ كُلُّ مَنْ لَهُ قَرَبُ

هُوَ الْبَحْرُ إِلَّا أَنْ مَوَدَّهُ عَذْبُ

لَتُظْهِرُهُ إِلَّا وَكَانَ لَهُ الْفَلْسُ

لِعِزَّتِهَا إِلَّا وَكَانَ لَهُ الْخَطْبُ

فَلَذَّتْ بِهَا الْأَسْمَاعُ وَاسْتَبْشَرَ الْقَلْبُ

وَرَفُضَ عِدَاَهَا لَا مَحَالَ وَلَا كِذْبُ

(١) عَلَيْهَا فُزَالُ الْخَوْفِ وَالتَّأَمُّ الشَّعْبُ

(٢) بِعَيْنِ رِضَاً يَفْضِي لَهَا الْخَائِلُ الْخَبُّ

(٣) تَلَابٌ وَمَعْضُ الْقَوْمِ شَيْئُهُ الْخَلْبُ

لِنَائِبَةِ أَبَوَا وَإِنْ أَمْنُوا نَبُّوا

أَخْفَكَ وَفِي الْجُلَى كَأَنَّهُمْ الْخُشْبُ

على أن حدَّ السيفِ قد رَمَّما نَبَّأ

هَمَامٌ عُلَّتْ هِمَامُهُ فَكَأَنَّمَا

عَلَ كُلُّ بَاعٍ بَاعُهُ وَتَوَاضَعَتِ

سَلِيلٌ عَلَاً مِنْ دَوْحَةِ طَابِ فَرْعِهَا

يَبِيتُ مَنَاوِيهِ يَسَاوِرُ هَمَامُهُ

سَمًا لِلْعَلَامِ مِنْ قَبْلِ تَبْقِيلِ وَجْهِهِ

هُوَ الْبَدْرُ لَكِنْ لَيْسَ يَسْتَرُ نُورُهُ

هُوَ الْلَيْثُ لَكِنْ غَابَهُ الْبَيْضُ وَالْقَنَسَا

هُوَ الْمَوْتُ لَكِنْ لَيْسَ يَقْتُلُ غِيلَةُ

وَمَا غَالِبَتُهُ مِنْذُ كَانَ كَتَمَتُهُ

وَمَا عَابَتْهُ إِلَّا مَلَائِكَةُ الْبِرِّ

أَتَانِي مِنَ الْأَنْبَاءِ عَنْهُ غَرَائِبُ

بِعُطْفٍ عَلَى وَدِّ الْعَشِيرَةِ صَادِقُ

وَتَجْمِيرُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ حَمِيمَةٍ

أَبَا مَا جِدْتُ أَنْظُرَ إِلَى ذِي قَرَابَةِ

فَإِنَّ الْوُدَّ أَدَامَ الْخُصْمَ مَا لَا يَشُوبُهُ إِخْ

وَفُظٌّ بِأَصْطِنَاعِي مَعْشَرًا أَنْ دَعَوْتَهُمْ

خَطَا طَيْفٌ فِي حِمْلِ الْأَبَا طِيلَ بِلْ هَمْ

لِي الطَّوْلُ وَالْفَضْلُ الْحَيْنُ عَلَيْهِمْ

وَهَلْ يَسْتَوِي عَالِي الشَّائِخِيَّةِ وَالْهَضْبِ (٤)

(١) التجمير: التجميع، والشعب: التفريق والصدع.

(٢) الخب: الخداع.

(٣) الاختلاب والخلب: الخديعة.

(٤) عالي الشناخيب: رؤس الجبال العالية.

وأقسم لولا ودك المحض لم تخض  
وقد كان لي في الأرض مثاى ومرحل

وماض أهل الفضل من أنهم غـرب

وثانية أنى أغار عليكـم

إذا ما جزيل النظم سارت به الكتـب

وجاء مديحي في سواكم فيآلها  
هويجة يأبى لها الماجد النـدب

هناك يقول الناس: لو أن قومـه  
كرام لكانت زندهم عنه لا تكـبـو

فان امتداحي غيركم كهجاءكم  
وذلك منى ان تحريره عـتـبـ

وعندى مما ينسج الفكر والحجا  
سراويل تبقى مترادفت الحـقـب

أضن بها عن غيركم وأصونها

(٢) ولو بعث الطائي ذو الجود أو كمـب

فصن خروجي عن سوال فانه  
على ولوعاش ابن زائدة صـمـب

ورد كثيرا من يسير تقى به  
فراخا قد استولى على ريعها الجـدب

(٣) فبحرك للوراد ذو متفطـط  
وربعك للوفاد ذو سعة رحـب

=()=()

وقال يعاتب ابن عمه الامير فضل بن محمد ويلومه لاجل جفائه وقطيعة لرحمه،(٤)

ويذكره بما جرى عليه من جهة ميله اليهم ، ويضرب له الامثال الموجعة ، ويظهر الندم

على ما قاله فيه من المدح ، والا طراء ، وقد اشد بها اياه ورحل لوقته حيث قال :

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد

وهب لصروف الدهر ما أنت واجـد

إذا خانك الادنى الذى أنت حزبه

فلا عجباً ان اسلمتك الأباـد

ولا تشك احداث الليالي الى امـرى

فذا الناس اما حاسد أو معانـد

(١) البزل: الجمال انشق ناهيا ، والصهب: جمع الأصهب ، وهو الذى يخالط  
بياضه حمرة .

(٢) كمب بن مامة الا يادى : كريم جاهلي ، يضرب به المثل في حسن الجوار .

(٣) متفطط: مضطرب عظيم الامواج كثير المـاء .

(٤) الديوان ص ١٤٠ .

وعد عن الماء الذي ليس ورد ، بصافي فما تعمى عليك المسوار  
 وكم منهبل طامى النواحي وردت به على طما ، وانصعت والريق جامد ( ١ )  
 فلاتحسبن كل المياه شريفة بيل الصدى منها وتوكي المزود  
 فكم مات في البحر المحيط أخو ظما  
 بغلته والموج جار وراكب  
 وان وطن ساء تك اخلاق أهله فدعه فما يخضي على النقص ماجد  
 فما هجر أم غدتك لبا نهما ولا الخط اذ فارقتها لك والبد ( ٢ )  
 وقد رما يجزى على الصد والقلبي أب وأخ والمرء من يساعده  
 فبت حبال الوصل من تروده اذا لم يرد كل الذي أنت وارد  
 وقل لليالسي كيف ماشئت فاصنمسي  
 فان على الاقدار تأتي المكائيد  
 ولا ترهب الخطب الجليل لهوليه  
 فطعم المنايا كيف ما ذقت واحده  
 ندمت على مدحي رجالا وسرني بأن صنتني قبل ذاك الملاحد  
 وحق لمثلي أن يموت ندامة اذا أنشدت في الناس تلك القصائد

=====

ومنها :

فليس بصماد الى المجد عاجز نثوم تناديه العلى وهو لا قد  
 وفي السمى عذر للفتى لو تعمذرت  
 عليه الساعي أو جفته المقاصد  
 خليلي كم أطوى الليالي وعزمتي  
 تنولني الجوزاء والجذ قاعيد  
 وكم ذا أنا جي همة دون همها نجوم الثريا والسهى والفرائد  
 ويقعدني عما أحاول نكبته جرت وزمان عاثر الجد فاسد  
 واخوان سوء ان ألت ملهمة بسوء فهم أسا سها والقواعيد  
 يسرون لي مالا أسر فكلهم على ذاك شيطان من الجن مارد

( ١ ) منهبل طام : عال ممثلى ، وانصاع : انقتل .

( ٢ ) الخط : مرفأ بالبحرين .



لقد بذلوا المجهود فيما يسوئني  
 فإليت أني حال بيني وبينهم  
 وصفد أذننا إلى الفدر كاشح  
 وأعجب ما لا كيت أن بني أبي  
 عزيزهم أن لذت يوما بظلمه  
 وسائرهم اما ضعف فضفه  
 هم الحموني النائبات وأولمت  
 وهم تركوا عمدا جناهي ومريسي

من الجذب لا يرجوه الخصب رائد  
 وهشتما بي حاسدي وذلكم

من الامر ما لا ترتضيه الأماجد  
 ومالي ذنب غير در نظمتهم  
 واني على أحسا بهم وعلاهم  
 وأحصى عليهم أن تدبر أمرهم  
 ولو قبلوا من ذلك الذنب توبة  
 فسبحان ربي كيف صاروا فانما  
 فلا يصفح القلب الذي أنا آمس

ولا يسمع الكف الذي أنا حامد  
 أيا فضل قد طال انتظاري ولم يقم

شتاء وقيظا عند مثلك وافد  
 وقد زالت الاعذار لا الفصوص بائر

ولا البحر ممنوع ولا الدخول فاسد  
 ولا أن محجور التصرف في الندي

عليك رقيب في نواك راصد  
 ولا في بني فضل بخيل وانهم  
 فمن أين يأتي اللوم يا ابن محمد  
 إذا أغرت الآفاق غر أماجد  
 ومجدك في بيت العيوني زائد

أترضى بأن تغدوا تسامى ركائبى

حمولا تها كيرانها والمقاود (١)

لحق مدحى أم لحق مودتى      لكم أم لا ن البيت والجد واحد  
فلا تقطعن ما بيننا من مودة      وقربى وخل الشعر فالشعر كاسد  
ولا تنسين ما نالني في هواكم      وقد ظفر الساعى وقل المساعد  
يقوم به حيا نزار ويمررب      شهود وفي الدعوى يمين وشاهد  
لقد كنت أرجو في جنبك حالمة

يموت لها غيظا غيور وحاسد  
فهاه فقل لي ما أقول لاسرتي      فكل عن الاحوال لا بد ناشد  
وكلهم سام الي بطرفه      يظن بأن الزارع الخير حاصد  
وما فضل من لا يرتجى لملمة      تلم ولا تبغى لديه القوائد  
فدو المجد كالد ينار والشعر جوهـر

يحك به والناظم الشعر ناقـد  
ولا خير في مستحسن النقش مطبـق  
اذا حـك نقتـه الاكف النواقـد  
فلا تتكل يا فضل في الفضل والندى

على سالف اسداه جد ووالـد  
فلا حمد الا بالندى يفعل الفتى      ولو كثرت في أوليه المحامد  
فكن عند ظني فيك لا ظن عاـدل  
نهانى عن قصدك فالسال نافـد

فقد تصل الارحام في عقر داركم  
وترتاح للجود الإماء الولائـد  
وغير غفي نيل من تعرفونـه

وهل لضياء الشمس في الأرض جا حـد  
فعيش وابق واسلم وانج من كل غمـة

جنبك محروس وملكك خالـد (٢)

(١) الكيران : جمع الكور ، وهو الرجل أو بأداته ، والمقاود : ما يقاد به الفرس أو البعير .

(٢) وهذه القصيدة تبلغ (٧٣) بيتا كلها عتب وفخر وشكوى .

وقال يرثي القاضي محمد ابن ابراهيم المستورى بهذه القصيدة العصاة التي  
تفيض أسا وحسرة على الفقيد الذي اخترته يد المنون ، وقد عدد فيها مزاياه  
واخلاقه فقال : \*

|                               |                                      |
|-------------------------------|--------------------------------------|
| غراماً أثارته الحمام السواجع  | ونارٌ جوىً أنْ كَتَ لها المدايع      |
| وقلب اذا ما قلت يعقب راحة     | أبت حرقاً تأتي بهن الفجائع           |
| أفي كل يوم للحوادث عذوة       | لها في سويداحية القلب صادع ( ١ )     |
| فلوان هذا الدهر لادر دره      | يسالم ارباب العلي ويبوادع            |
| ولكنه يختار كل مهذب           | له الفضل فينا واللهم والد سائع ( ٢ ) |
| أبعد ابن ابراهيم ياد هر بيتقى | اليك خلود أوترجى صنائع               |
| تعست لقد علمتنا بعمده البكسا  | وعرفتنا بالشكل ما الحزن صانع         |
| فتى كان برا بالمشيرة راحما    | رؤفا بها لا تزدهيه المطامع ( ٣ )     |
| ولم تلقه في محفل من نديسه     | بشارى على ماساءها وبياييع            |
| ولوشاء جازى بالعقوبة قدرة     | ولكن له من خشية الله رادع            |
| يصد عن الموراء حتى كأنما      | به صم عما يقول المقانزع ( ٤ )        |
| كريم الثنا تأبى الدنية نفسه   | همام لأبواب الحوادث قارع             |
| له حكم مأثورة حين تلتقى       | بآرائها عند الملوك المجامع           |

يقول فلا يخطي اذا ما تأخرت

عن القول سادات الرجال المصاقع ( ٥ )

جميل السجايا كلما ازداد رفعة      تواضع حتى قيل ماذا التواضع

سواء عليه في القضية من دنت      به الرحم القربى ومن هو شاسع

نشا مذ نشا لم يد رما الجهل والخنس

وساد بنى أيامه وهو يافيع

ولا عرف الموراء يوما ولا انتحى      الى خطة يفي بها من يقانزع ( ٦ )

اذا قيل من أوفى معد بذمم      أشارت اليه بالبنان الأصابع

لقد فجعت غمٌ وبكرٌ وطوطئٌ

لمهلكه أكتادها والقبائع ( ٧ )

- 
- (١) العذوة : المرة من الاعتداء ، وسويداء القلب : حبه ، وتصدع : تكسر .  
(٢) اللهي : العطايا الكثيرة ، والد سع : اعطاء الدسيمة ، للعطاية الجزيلة .  
(٣) تزدهيه المطامع : تستميله وتغريه . (٤) المقانزع : الرامي بالفحش وسوء القول .  
(٥) الرجل المصقع : البليغ (٦) الخطة : الطريقة ، ويقانزع : يبادل الناس الشتائم والسباب  
(٧) الكند محرّك ، محتتمل لتفين من الا نسان والفرس والكاهلأ وما بين الكاهل الى الظهر .  
القبع : أن تطاطي رأسك في السجود .  
\* القصيدة من ديوان الشاعر ص ٢٧٦ تحقيق الحلو .

كما فجعت من قبله بجسده وده بنو جشم والمجد للمجد تابع  
فصبرا بنى مستور فالدهر هكذا

وكل عليه للمنايا طلائع  
ففيكم بحمد الله حصن ومعقل ونور مبين يعلو الأفق سا طمع  
فمن كان عبد الله منه خليفة فمات الا شخصه لا الطبائع  
فتى لم يزل مذ كان قبل احتلامه

يدافع عنكم جاهدا ويصا نـ  
فما عاش فالبيت الرفيع عماده يطول على الأيام والربع واسمع  
وقيت الردى والسوء يا با محمد وحلت بمن يهوى رداك القوارع  
تعز فكل سالك لسبيل

وكل أمرئ من خشية الموت جـ  
ونحن سواء في المصاب وان نأت بنا الدار فالأرحام منا جوامع  
ولا شك منا في التأسى وانما تعزك ان جاءت بذاك الشرائع



وقال في هذه القصيدة يفتخر بأبائه وهي تبلغ ( ١٥٠ ) مائة وخمسين بيتا ،  
وتعتبر سجلا تاريخيا للدولة العيونية فقد عدد امرائها واحدا واحدا ذاكرا  
مفاخرهم وأيامهم وفضائلهم بقوله : \*

قم فاشدد العيس للترحال معتزما وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما  
ولا تلفت الى أهل ولا وطن فالحرير حل عن دار الأذى كرما  
كم رحلة وهبت عزا تد ين له

شوس الرجال وكم قد أورثت نعمـ ( ١ )  
وكم اقامة مغرور له جلبت حتفا وساقت الى ساحاته النقمـ  
واسمع ولا تلغ ما أنشأت من حكـ

فدو الحجا لم يزل يستنبط الحكمـ ( ٢ )

(١) رجل أشوس: متكبر لا ينال ، والشوس (بالتحريك) : النظر بموءخر العين تكبرا أو تغيظا.

(٢) الحجا : العقل .

\* القصيدة بديوان الشاعر ص ٢٦ ه تحقيق الحلو .





## خاتمة

درسنا فيما مضى من هذه الصفحات البسيطة علماً من أعلام الشعر العربي ،  
وشخصية من شخصياته رفع لواءه حقبة من الزمن ، في عهد أقفرت فيه سماء الجزيرة  
العربية من فعول الشعراء المجيدين - ألا وهو شاعرنا المجيد علي بن المقرب  
الميويني - الذي كادت أن تطويه يد النسيان مع من طوته من أمثاله الذين هم  
في أمس الحاجة الى البحث والتنقيب .

فلقد بدأت بحثي عن ابن المقرب بمقدمة موجزة أوضحت فيها الاسباب التي  
دعنتني الى اختيار هذا الشاعر بالذات موضوعاً لبحثي مع قلة المصادر عنه والذين  
تناولوه بالكتابة والدرس ، مما جعلني اتحمل بعض المشقة في الحصول على المعلومات  
عنه ، وبعد ذلك عقدت فصلاً خاصاً درست فيه وطن الشاعر - البحرين - من الناحية  
السياسية أولاً والثقافية والاجتماعية ثانياً نظراً لما لهذا من صلة وثيقة بحياته  
شاعرنا وتكوين شخصيته وشاعريته .

ومنه انتقلت بالحديث الى الشاعر نفسه فعمدت الباب الثاني ودرست حياة  
الشاعر من جميع جوانبها ونشأته ، واضفيت الحديث على كل الجوانب التي تتصل  
بنسبه وشخصيته وعلمه ومعتقداته ، وختمت ذلك بوفاة الشاعر . كما عقدت فصلاً خاصاً  
عن رحلاته الى كل الاقطار المجاورة التي كتب لشاعرنا أن يزورها كالعراق واليمامة  
واثرها العميق في نفسيته وشمرة اضافة الى اتصالاته بأبناء عمه امراء الدولة  
الميونية ، وغيرهم من اعيان عصره .

وبعد ذلك جعلت باباً خاصاً ايضاً لدراسة شعره من حيث الاغراض التي  
طرقها الشاعر معتمداً في ذلك على ديوانه الذي وقعت عليه فلفت انتباهي وملك  
علي اعجابي فوجدت كثيراً من الاغراض التي ساهم فيها شاعرنا ابن المقرب وابرزها  
المدح والفخر والشكوى من الزمن والناس ، والحنين الى الوطن ايام الغربة ، والعتاب  
والنصح احياناً لابناء عمه الذين ناصبوه العداوة وهضموه حقاً ، مطاوعين في ذلك  
قول الوشاة والحاسدين الذين حسدوه <sup>علي</sup> هذا النبوغ المبكر والقريحة المتوفرة .

كما وانني ايضاً المحت الى العوامل التي صار لها دور كبير وفعال في تكوين  
شاعريته ، وأهمها جميعاً الحرمان الذي مني به طيلة حياته من ابناء عمه ، ومن اصدقائه  
الذين كسفت له الحياة عنهم وعن نواياهم ، مما قلب الدنيا سواداً في عينيه بعد ما  
كان ينظر اليها بمنظار السفال .

اضافة الى انني تحدثت ايضا عن رحلاته ، واتصالاته بعلماء عصره ، وكبار معاصريه من الامراء والولاة .

وفي نهاية المطاف لدراسة شعره عقدت فصلا خاصا اوضحت فيه الخصائص الاسلوبية التي لاحظتها على شعره من قوة في اللفظ ومتانة في الاسلوب ، وسمو في الفكرة ، وكذلك الخصائص المعنوية التي اتضحت لي من شعره .

وعلى أى حال فشاعرنا يمكن أن نقول عنه انه ذو عقلية فذة جمعت بين اجادة المتقدمين من فعول الشعراء كزهير والناخبة وشعراء الاسلام والمصر العباسي الاول كل ذلك اضافة الى حسن التأخيرين ، فقد اجتمعت له مزايا المتقدمين والمتأخرين .

ومنه انتقلت الى عقد دراسة خاصة لديوانه ، والدراسات التي وجدتها عنه اضافة الى آراء النقاد في شعره ممن عاصروه وسمموا منه شعره ، وأوردوا ذكره في مؤلفاتهم . غير انني خلال هذه الفصول أوردت كثيرا من الشواهد من شعره . وفي النهاية اخترت بعض النماذج التي يمكن ان تعطي قارئها اكثرا الانطباعات عن هذا الشاعر المبقرى .

ومن خلال دراستي لحياته وقرائتي لديوانه فقد لمست بعض الصفات التي يمكن أن اطلقها عليه ، وذلك كشابته لابي الطيب المتنبي في كثير من الصفات كثورته العارمة على الزمان والناس وعلو مقامه ، كما انني ارجو الا اعدو الحقيقة ، ولا أجنب الصواب ، حينما اقول انه متنبي القرن السابع الهجري فهو جد ير بذلك وحقيق به .

كما وان ابرز ظاهرة تواجه قارئ ديوانه هي الحرمان الذي مني به الشاعر طيلة حياته ، فلنكاد نقرأ له اى قصيدة من قصائد الديوان الا ونحس بهذا اللون الذي تلون به شعره وانطبع به ، ومن هذا يمكن لنا ايضا أن نطلق عليه شاعر الحرمان . وبعد معرفتنا بمستواه الشعري يمكن لنا أخيرا أن نتساءل عن الاسباب الحقيقية التي أدت الى غموض الشاعر وعدم شهرته مع أنه خليق بأن تنتظم اسمه في قائمة الشعراء المجيدين .

وجوابا لهذا السؤال يمكن أن نعزو السبب الى أن شاعرنا عاش في بيئة بحرانية يسودها الجهل والتخلف الادبي والاجتماعي والثقافي بالاضافة الى عوامل الاضطراب التي مرت بنا ، ولهذا فهي بيئة لا ترعى للنايفين حقوقا ، ولا للمفكرين من انبائها واجبها .



وكما اثر تخلف البيئة في عدم الاهتمام به كذلك كان لابناء عمه الدور الهام في تناسل الناس له واهماله وبالتالي خمول ذكره .

ومن جهة أخرى فان البحرين كما هو معلوم بعيدة عن حواضر الخلافة ومراكز الثقافة والمعرفة كبغداد ودمشق والقاهرة وحلب والمغرب والاندلس، ولهذا لم يعن بتاريخ البحرين العام فضلا عن تاريخ الحركة الادبية لبعده الشقة وعدم العلم بما جرى فيها .

وهكذا بقي تاريخ الحركة الفكرية والعلمية والادبية مجهولا ، وظل ابن المقرب ودوانه مكونا في زوايا الاهمال ، وغير معروف لدى الدارسين والباحثين .  
ورحلاته التي مرت بنا لم تؤثر في ذبوع صيته وانتشار شعره بقدر ما اشرت في الشعر نفسه فصقلته وهذبتة وجعلته واسع الافق .

وكما ان من أهم الاسباب ايضا في ذلك هو أنه عاش في زمن لم يهتم فيه بالشعر والادب اهتماما كبيرا فموامل الوهن والجمود والجهل قد انتشرت في العالم العربي وخيمت عليه .

ولهذه الامور مجتمعة ظل شاعرنا ابن المقرب مغمورا ، وشعره مع الايام نسيا منسيا ، على أن شعره لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون سببا لهذا الجهل والتجاهل والقارىء له يجد انه امام شاعرية ناضجة ، وعبقرية خالدة لا يــــد وأن تظهر مهما طالت الايام وتتابعتم الدهور .

ولعلي بهذه الرسالة - وان كنت معترفا بقصورها - أديت بعض الواجب علي في لفت النظر الى هذه الشخصية الخالدة ، وابرازها الى حيز الوجود لتحض بعناية الدارسين والباحثين في التراث العربي القديم .

## المراجع

- ١- الاعلام لخير الدين الزركلي الطبعة الثانية،
- ٢- تاريخ الاحساء او تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء القديم والجديد لمؤلفه الشيخ محمد عبد القادر ، الطبعة الاولى ، مع ملاحقه للشيخ العلامة حمد الجاسر .
- ٣- دائرة المعارف باشراف الاستاذ فؤاد افرايم البستاني .
- ٤- معجم البلدان لياقوت الحموي .
- ٥- القاموس المحيط للفيروز أبادي .
- ٦- المستدرک على ابن ماکولا - لابن نقطه .
- ٧- التکملة في وفيات النقلة للحافظ المنذرى .
- ٨- الوافي بالوفيات للصفدي .
- ٩- تلخیص مجمع الآداب لأبي الفوطي .
- ١٠- قلائد الجمان في شعراء الزمان - لابن الشعار الموصلي .
- ١١- التهذيب لابي منصور محمد بن احمد بن ازهر .
- ١٢- ديوان ابن المقرب طبعة الهند سنة ١٣١٥ هـ .
- ١٣- ديوان ابن المقرب شرح عبدالعزيز العويصي - منشورات المكتب الاسلامي بدمشق المطبوع على نفقة الشيخ علي آل ثاني .
- ١٤- ديوان ابن المقرب تحقيق محمد عبدالفتاح الحلو الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١٥- ديوان ابن المقرب طبع مكة سنة ١٣٠٧ هـ .

## فهرس الموضوعات

### مقدمة

- الباب الاول من ٣ - ١٥  
موطن الشاعر والحياة السياسية  
والثقافة والاجتماعية  
ظهور دولة القرامطة  
الدولة العيونية

### الباب الثاني

- الفصل الاول ١٦ - ٢٨  
حياة ابن المقرب ونشأته  
أ ( من هو ابن المقرب ؟  
ب ) نشأته واخلاقه  
ج ) شخصيته  
د ) علمه وثقافته  
هـ ) معتقده  
و ) وفاته

- الفصل الثاني ٢٩ - ٣٨  
رحلاته واتصالاته  
١ ) اتصاله بامراء الميوسيين  
٢ ) اتصاله باعيان زمانه  
٣ ) اتصاله بعلماء عصره  
الباب الثالث

- شعره ٣٩ - ٤٠

- الفصل الاول ٤١ - ٦٨  
الاجراض الشعرية التي طرقها ابن المقرب  
المدح - الفخر - الشكوى والالين  
العتاب والنصح - الرثاء - الحكمة  
الهجاء - الشوق والعنين -  
الغزل والنسيب

الوصف - الدعاية والمزاج

الفصل الثاني

- ٧٨-٦٩ العوامل المؤثرة في شعره  
الحرمان الذي مني به في حياته  
رحلاته واتصالاته

الفصل الثالث

- ٨٣-٧٩ خصائص شعره :  
الخصائص السلوكية  
الخصائص المعنوية

الفصل الرابع

- ٩٠-٨٤ الدراسات التي كتبت عنه :  
ديوانه  
آراء النقاد في شعره  
١٠١-٦٦ مختارات شعرية له  
١٠٤-١٠٢ خاتمه

الفهارس

- ١٠٧ فهرس الموضوعات  
١٠٥ فهرس المراجع

